فقه صناعة الكفاءات البشرية
منهج نبوي ورؤية مستقبلية

د. محمود فراج السيد إمبابي (*)

ملخص:

الحمد لله وحده، وبعد؛ فإن من أهم سُبل نجاح الأفراد والمؤسسات والأمم هو: صناعة الكفاءات البشرية القادرة على القيام بالمهام الموكلة إليها، وتحقيق الأهداف المنشودة، وإن من لوازم إيجاد هذه الكفاءات: العناية بها، وحسن توظيفها، بمعايير منضبطة، وعلى قواعد سليمة، وقد ضربت لنا السيرة النبوية المشرفة أروع الأمثلة على العناية بالكفاءات البشرية، والاستفادة منها، وحسن توظيفها في تحقيق رسالة الأمة وأهدافها.

وقد زخرت السيرة النبوية المشرفة بكثير من المواقف التي تُبين حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه، والعناية بها؛ ليصنع منهم كفاءات بشرية قادرة على القيام بمهام الرسالة، ومسئولية الدعوة، وتحقيق أهدافها، فَوَضَعَ معايير منضبطة لاختيار الكفاءات البشرية التي يُوكِل إليها مهمة ما، مع حسن توظيف هذه الكفاءات بعبقرية نبوية منقطعة النظير.

وقد حاولت في هذا البحث الكشف عن المنهج النبوي في صناعة الكفاءات البشرية؛ ليُستفاد منه في العناية بكفاءات الأمة وعدم إهدارها؛ فكان هذا البحث **(فقه صناعة الكفاءات البشرية، منهج نبوي ورؤية مستقبلية)**.

ويهدف البحث إلى بيان السبل التي وضعها النبي -ﷺ- لتنمية كفاءات أصحابه، والمعايير التي اختار الكفاءات بناء عليها، وكيف وظف كفاءات أصحابه في خدمة الرسالة وتحقيق أهدافها؛ ليتمكن الذين ينشدون النجاح والتقدم من السير على خطاه، واتباع سنته في هذا.

وترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يعد كاشفًا عن المنهج النبوي المبارك في صناعة الكفاءات البشرية، وتنميتها، وحسن توظيفها، وواضعًا أهم معالم فقه صناعة الكفاءات البشرية.

وكذلك تبرز أهمية هذا البحث في أنه يلفت انتباه طالبي التقدم والنجاح إلى اتباع منهج النبي -ﷺ- في مسيرتهم النهضوية (أممًا وأفرادًا)؛ ليقتدوا به في صناعة الكفاءات البشرية وتنميتها.

الكلمات المِفْتاحية: فقه صناعة الكفاءات البشرية. اهتمام السنة بالكفاءات البشرية. المنهج النبوي في صناعة الكفاءات.

(*) مدرس الفقه وأصوله، بقسم الدراسات الإسلامية (كلية الآداب – جامعة سوهاج).

Abstract:

The Fiqh of Making Human Competencies: A Prophetic Method and a Vision for the Future

Praise be to Allah. One of the most important ways for the success of individuals, institutions and nations is to make human competencies capable of carrying out the tasks entrusted to them and achieving the targeted goals. One of the requirements for making these competencies is taking care of them and employing them well with disciplined standards and sound rules. The honorable biography of the Prophet has introduced the most significant examples of caring for human competencies, benefiting from them, and employing them well in order to achieve the nation's mission and objectives. The honorable biography of the Prophet fills with many situations that demonstrate the keenness of the Prophet, may God bless him and grant him peace, to develop the skills of his companions and take care of them to make human competencies capable of carrying out the tasks of the mission, affording the responsibility of the missionary duty, and achieving its goals. Thus, the Prophet set disciplined criteria for selecting the human competencies to whom a task is entrusted. In addition, employing these competencies well with unprecedented prophetic manner. In this research, I have attempted to reveal the prophetic approach or method to make human competencies in order to benefit from it in taking care of the nation's competencies and not losing them. Therefore, this research, which is entitled **(The Fiqh of Making Human Competencies: A Prophetic Method and a Vision for the Future)** has come up.

The research aims to explain the ways that the Prophet, may God bless him and grant him peace, has established to develop the competencies of his companions, the criteria upon which he chose the competencies, and how he employed the competencies of his companions in serving the mission and achieving its goals. Thus, those who seek success and progress can follow in his footsteps and pursue his Sunnah in this regard. The significance of this research is due to the fact that it is considered to reveal the blessed prophetic method or approach to make human competencies, developing them, employing them well, and laying out the most important features of the Fiqh of making human competencies. As well as, the significance of this research emerges in drawing the attention of those seeking progress and success to following the approach of the Prophet, may God bless him and grant him peace, in their pathway of renaissance (nations and individuals) in order to emulate him in making and developing human competencies.

Keywords: Fiqh of making human competencies, Sunni interest in human competencies, the prophetic method in making competencies

مقدمة:

الحمدُ لله وحدَه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ لا نَبيّ بعدَه، سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ أجمعين.

وبعد،

فإن الله -عز وجل- أرسل نبيه محمدًا -ﷺ- بالهدى ودين الحق، فأوحى إليه شريعة مُبينة ومنهاجًا مستقيمًا **:يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍZ**[(١)]، وقد قَرَنَ الله -جل وعلا- اتباع النبي -ﷺ- بالفلاح المطلق **:فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَZ**[(٢)].

وإن طالبي النجاح والنهضة من الأفراد والمؤسسات والأمم يسعون إلى سلوك السُّبل التي توصلهم إلى تحقيق أهدافهم، وذلك في المجالات كافة، وعلى الأصعدة كافة، وإن من أهم سُبل نجاح الأفراد والمؤسسات والأمم هو: صناعة الكفاءات البشرية القادرة على القيام بالمهام الموكلة إليها، وتحقيق الأهداف المنشودة.

وإن من لوازم إيجاد هذه الكفاءات: العناية بها، وحسن توظيفها، بمعايير منضبطة، وعلى قواعد سليمة، وقد ضربت لنا السيرة النبوية المشرفة أروع الأمثلة على العناية بالكفاءات البشرية، والاستفادة منها، وحسن توظيفها في تحقيق رسالة الأمة وأهدافها.

وقد زخرت السيرة النبوية المشرفة بكثير من المواقف التي تُبين حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه، والعناية بها؛ ليصنع منهم كفاءات بشرية قادرة على القيام بمهام الرسالة، ومسئولية الدعوة، وتحقيق أهدافها، فَوَضَعَ معايير منضبطة لاختيار الكفاءات البشرية التي يُوكِل إليها مهمة ما، مع حسن توظيف هذه الكفاءات بعبقرية نبوية منقطعة النظير.

ومما هو جدير بالإشارة إليه هنا أننا إذ نتحدث عن عبقرية النبي -صلى الله عليه وسلم- في اكتشاف الكفاءات، وتنميتها، وحسن توظيفها؛ فإننا لا نتحدث عن هذا منفصلًا عن الوحي الإلهي والتأييد الرباني، وإنما خَطَّ الوحي للنبي -ﷺ- أقوم السبل وأهداها، وجعل الاقتداء بما أتى به النبي -ﷺ- مقدورًا عليه، يستطيعه أي أحد؛ ليقتدي به المؤمنون، ومن أراد الفوز بخيري الدنيا والآخرة.

وقد حاولت في هذا البحث الكشف عن المنهج النبوي في صناعة الكفاءات البشرية؛ ليُستفاد منه في العناية بكفاءات الأمة وعدم إهدارها؛ فكان هذا البحث **(فقه صناعة الكفاءات البشرية، منهج نبوي ورؤية مستقبلية)**.

ويهدف البحث إلى بيان السبل التي وضعها النبي -ﷺ- لتنمية كفاءات أصحابه، والمعايير التي اختار الكفاءات بناء عليها، وكيف وظف كفاءات أصحابه في خدمة الرسالة وتحقيق أهدافها؛ ليتمكن الذين ينشدون النجاح والتقدم من السير على خطاه، واتباع سنته في هذا.

وترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يعد كاشفًا عن المنهج النبوي المبارك في صناعة

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

الكفاءات البشرية، وتنميتها، وحسن توظيفها، وواضعًا أهم معالم فقه صناعة الكفاءات البشرية.

كما تبرز أهمية هذا البحث في أنه يعد بمنزلة خارطة طريق لمن أراد تحقيق النجاح الإداري والمؤسسي على مستوى الأفراد والأمم في ضوء سنة النبي ﷺ.

وكذلك تبرز أهمية هذا البحث في أنه يلفت انتباه طالبي التقدم والنجاح إلى اتباع منهج النبي -ﷺ- في مسيرتهم النهضوية (أممًا وأفرادًا)؛ ليقتدوا به في صناعة الكفاءات البشرية وتنميتها.

وقد اتبعت في دراسة هذا الموضوع المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال استقراء كتب الحديث والسيرة -ما أمكن- للوقوف على منهج النبي -ﷺ- في صناعة الكفاءات البشرية.

ومع أهمية هذا الموضوع فلا توجد –في حدود علمي- دراسة تناولت فقه صناعة الكفاءات البشرية، منهج نبوي ورؤية مستقبلية.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يرد في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع، وهدفه، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.
- **التمهيد وفيه:** التعريف بمصطلحات البحث.
- **المبحث الأول:** تنمية المهارات لصناعة الكفاءات البشرية في ضوء السنة النبوية.
- **المبحث الثاني:** معايير اختيار الكفاءات البشرية، وتوظيفُها في ضوء السنة النبوية.
- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

قبل الولوج في البحث لابد من تعريف فقه صناعة الكفاءات البشرية، وذكر المراد به، ولكي يتضح المراد لابد أولًا من تعريف هذه الألفاظ الثلاثة التي تركب منها هذا المصطلح: (الفقه – الصناعة – الكفاءات)، ثم بيان المراد بـ (فقه صناعة الكفاءات البشرية).

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهمُ له[١].

وذهب طائفة من العلماء إلى أن الفقه أخص من الفهم؛ لأن الفقه فهم مراد المتكلم من كلامه، وهو قدر زائد على مجرد فهم اللفظ في اللغة، ويتفاوت الناس في الفهم بتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم[٢].

وأما الفقه اصطلاحًا فمعناه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"[٣].

والصناعة يراد بها: حِرْفةُ الصانع وعمله، والصَّنْعةُ والصِّناعةُ ما تَسْتَصْنِعُ من أَمْرٍ[٤]، وقيل: الصَّنَاعة: بالفتح تستعمل في المحسوسات، وبالكسر في المعاني، وهي أخصُّ من الحِرفة؛ لأنها تحتاج في حصولها إلى المزاولة، وعَرّفوها بأنها: ملكةٌ نفسانية يصدر عنها الأفعالُ الاختيارية من غير رؤية، أو العلمُ المتعلق بكيفية العمل[٥].

فإذا اقترن لفظ الصناعة بعلم معين؛ فالمراد بها مجموعة المناهج والقواعد والأدوات التي يستخدمها المشتغل بهذا العلم، ويعبر عن مَلَكَته العلمية التي يقتدر بها على التصرف المضبوط وفق قواعد هذا العلم؛ فاقتران الصناعة بالفقه فيه دلالة على ملكة الفقهية العلمية التي يستطيع بها اتقان استنباط أحكام الوقائع الكثيرة والمتعددة وفق القواعد الشرعية.

وإطلاق الصناعة على علم معين ليس أمرًا مستحدثًا، بل نص عليه جماعة من العلماء، منهم السبكي، حيث قال: "وقد يطلق العلم باصطلاح ثالث على الصناعة، كما تقول: عِلْمُ النحو، أي: صناعته، فيندرج فيه الظَّنُّ واليقين، وكل ما يتعلق بنظر في المعقولات لتحصيل مطلوبٍ يُسمى عِلْمًا، ويُسمى صناعة"[٦].

وقال علاء الدين المرداوي واصفًا الفقيه المتمرس بصنعته الفقهية: "هو من له قدرة على استخراج أحكام الفقه من أدلتها، ويكون عنده سجية وقوة يقتدر بها على التصرف بالجمع، والتفريق، والترتيب، والتصحيح، والإفساد؛ فإن ذلك ملاك صناعة الفقه"[٧].

وأما الكفاءة فهي في اللغة بمعنى المماثلة، يقال: فلان لا كِفَاء له، ولا كفء، أي: لا نظير له، ولا مثيل[٨]، ويطلقها علماء التنمية على: "المعارف والسلوكيات والمهارات

---

(١) لسان العرب، مادة (ف ق هـ)، ٥٢٢/١٣.
(٢) إعلام الموقعين، ٢٦٤/٢.
(٣) الإحكام، للآمدي، ٦/١، ومنهاج الوصول، ص٥١، والبحر المحيط، ١٥/١.
(٤) لسان العرب، مادة (ص ن ع)، ٢٠٨/٨.
(٥) التعريفات، للجرجاني، ص١٣٤، والتعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان البركتي، ص١٣١.
(٦) الإبهاج في شرح المنهاج، ٧٩/٢.
(٧) التحبير شرح التحرير، ٣٨٧٠/٨.
(٨) لسان العرب، مادة (ك ف أ)، ١٣٩/١.

المتحركة أو القابلة للتحريك بغية القيام بمهمة محددة"[1].

وأما تعريف مصطلح (فقه صناعة الكفاءات البشرية) باعتباره لقبًا على علم معين، فلم أقف على تعريف اصطلاحي له؛ نظرًا لحداثة المصطلح، ولكن يمكن تعريفه من خلال ما سبق من تعريف لمفردات المصطلح: بأنه: العلم بمجموعة القواعد والإجراءات والأدوات والمعايير الشرعية التي تُمَكِّنُ من تنمية مهارات الأفراد والجماعات، وتنظيمها، واستقطابها، وتوظيفها؛ لتحقيق رسالة الأمة وأهدافها.

(١) تنمية الكفاءات ودورها في دعم الميزة التنافسية للمؤسسات، د. أبو القاسم حمدي، ص٣٢.

المبحث الأول

تنمية المهارات لصناعة الكفاءات البشرية في ضوء السنة النبوية

تطلق المهارة في اللغة على الحِذْق في الشيء، فالماهر هو: الحاذق بكل عمل(١)، وفي الاصطلاح هي: "أداء بدني أو ذهني يؤدى على مستوى عال من الإتقان، وبأقل جهد وفي أقل وقت ممكن، ويتوصل إليه عن طريق الفهم والممارسة والدقة"(٢).

وقد كان النبي -ﷺ- يَعرف مهارات أصحابه معرفة دقيقة، ويعرف ما يملكه كل صحابي من مهارات تميزه عن غيره، وكذلك ما يفقده من مهارات ومزايا قد توجد عند غيره، فكان يعرف مواطن القوة والضعف عند كل واحد منهم، وكان منهجه -صلى الله عليه وسلم- في هذا: تنمية المهارات والإشادة بها، وتعزيز مواطن القوة، وتقويم الإخفاقات، وتحسين مواطن الضعف، مع غض الطرف عمّا لا يمكن تغيره مما لا يقدح في ديانة أحدهم، ولا يد له فيه مما جُبلت عليه نفوس بعضهم؛ فاستطاع النبي -ﷺ- بهذا النهج النبوي الدقيق تنمية المهارات، وتوجيه الطاقات المتميزة، واستثمارها في خدمة الأمة، وتحقيق نهضتها.

ومما يدل على أن النبي -ﷺ- كان يعرف مهارات أصحابه وقدراتهم وكفاءاتهم معرفة دقيقة، قوله -ﷺ-: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ، أَلَا أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»(٣)؛ ولذلك وضع كل واحد منهم في مكانه الذي يستحقه، وعمل على تنمية مهاراتهم بالقدر الذي يصنع منهم كفاءات بشرية تخدم الأمة، وتحقق أهداف الرسالة المباركة.

فقد عرف النبي -ﷺ- لأصحاب الكفاءات قدرهم، ومَدَحَهم، وقدمهم على غيره، مُعْلِمًا إياهم أنهم أصحاب كفاءة تستحق التقدير والاهتمام، بل كان يُعْلِم أصحابه بكفاءاتهم ومكانتهم، ولا يخفى ما لهذا من أثر عجيب في نفوس سامعيه؛ فكان ذلك محفزًا لهم أن يبذلوا جهدهم، ويستفرغوا وسعهم في خدمة أُمَّتهم، ولكي يكون عند حسن ظن النبي -ﷺ-.

وقد حرص النبي -ﷺ- على تنمية كافة المهارات التي يلمس وجودها في أصحابه، فإن وجد منهم قابلية لعمل ما تُخْدم به الأمة، ومهارة يمكن الاستفادة منها في تحقيق أهداف الرسالة؛ شجعهم عليها، وعمل على تنميتها، وتوجيه صاحبها لما فيه نفعه، ونفع الأمة،

---

(١) لسان العرب، مادة (م هـ ر)، ١٨٤/٥.

(٢) مهارات التربية الإسلامية، ص٢٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٥٢/٢٠، ح (١٢٩٠٤)، والترمذي في سننه، كتاب المناقب (مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأُبَي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم)، ٦٦٤/٥، ح (٣٧٩٠)، وابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب (مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم)، ٥٥/١، ح (١٥٤)، والحاكم في مستدركه، ٤٧٧/٣، ح (٥٧٨٤)، وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقد تنوعت المهارات التي حرص النبي -ﷺ- على تنميتها في أصحابه -رضوان الله عليهم-، ومن أهمها:

١- المهارات الروحية:

حرص النبي -ﷺ- منذ اللحظات الأولى للرسالة على غرس المعاني الإيمانية في نفوس أصحابه؛ ذلك أن مقصد الرسالة الأكبر، وهدفها الأسمى هو: تعبيد الناس لله رب العالمين وحده لا شريك له، والنصوص الشرعية دالة على هذا، وهي أكثر من أن تحصى هنا.

ومع هذا فإن النبي -ﷺ- حرص على تنمية مهارات أصحابه الروحية، ممن وجد منهم إقبالًا شديدًا، وحرصًا زائدًا، وهمة عالية على التنسك، والإتيان بصنوف العبادات فرائض ونوافل، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، منها:

- أن النبي -ﷺ- قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ» فقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[(١)]، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لما رأى من أبي بكر -رضي الله عنه- همة ونشاطًا للعبادة، جعله يسأل عما إذا كان لأحد من عباد الله أن يدعى من أبواب الجنة كلها، وهذه همة لا مثيل لها، فلما رأى النبي -ﷺ- ذلك منه؛ نمَّى ذلك فيه فقال: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

وقد أثمرت هذه التربية في أبي بكر -رضي الله عنه-، فإن النبي -ﷺ- سأل أصحابه يومًا: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أَنَا، قال: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أَنَا، قال: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أَنَا، قال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أَنَا، فقال رسول الله -ﷺ-: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٢)].

- ولما رأى النبي -ﷺ- إقبال عبد الله بن عمر -وهو شاب- على العبادة والطاعة، وزهده في الدنيا؛ نمّى ذلك فيه، يقول ابن عمر -رضي الله عنهما-: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[(٣)]، وقد أثمرت هذه الوصية النبوية التي سقى بها النبي -ﷺ- بذور الزهد والإخلاص في قلب ابن عمر -

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب (الريان للصائمين)، ٢٥/٣، ح (١٨٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب (من جمع الصدقة، وأعمال البر)، ٧١١/٢، ح (١٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب (من جمع الصدقة، وأعمال البر)، ٧١٣/٢، ح (١٠٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب (قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، ٨٩/٨، ح (٦٤١٦).

رضي الله عنهما-؛ فكان من أزهد الصحابة، وكان مما أُثِر عنه قوله: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»(١).

ومن تعاهد النبي -ﷺ- لمهارة ابن عمر الروحية، أنه قال عنه: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»(٢)، فبلغ ذلك ابن عمر -رضي الله عنهما- فكان بعدها «لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا»(٣).

- ومن تعاهد النبي -ﷺ- لأصحابه وتنميته مهاراتهم الروحية، وحثهم على الطاعة والعبادة، ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: «يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»(٤).
- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أَوْصَانِي خَلِيلِي -ﷺ- بِثَلَاثٍ: «بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أنام»(٥).

قال ابن حجر: "والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك، تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام؛ ليدخل في الواجب منهما بانشراح، ولينجبر ما لعله يقع فيه من نقص"(٦)، وقد أينعت ثمار هذه الوصية في نفس أبي هريرة -رضي الله عنه-، فقال كما في رواية أخرى عند البخاري: «أوصاني خليلي بثلاث **لا أدعهن حتى أموت**...»، وهكذا حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه الروحية، وحثهم على الطاعة والعبادة، وتعاهدهم، وما ذكرته هنا نذر يسير جدًّا مما روي في هذا الباب.

٢- المهارات الفكرية والعلمية:

حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه الفكرية والعلمية؛ لعلمه -ﷺ- بالأهمية الكبيرة لهذه المهارات في صناعة الكفاءات البشرية التي تحقق هدف الرسالة، ونهضة الأمة، وما ذلك إلا امتداد للمنهج القرآني الكريم الداعي إلى التفكر والتعلم في غير ما موضع منه، والذي لم يسوِ بين أصحاب المهارات الفكرية والعلمية وبين غيرهم، فقال: **Z:قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** (٧)، وقد

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب (طول السجود في قيام الليل)، ٤٩/٢، ح (١١٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما)، ١٩٢٧/٤، ح (٢٤٧٩).
(٣) المصدران السابقان نفسهما.
(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب (ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه)، ٥٤/٢، ح (١١٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب (النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به...)، ٨١٤/٢، ح (١١٥٩).
(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب (صلاة الضحى في الحضر)، ٥٨/٢، ح (١١٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (الوصية بصلاة الصبح)، ٤٩٨/١، ح (٧٢١).
(٦) فتح الباري، ٥٧/٣.
(٧) سورة الزمر، آية: ٩.

استعمل النبي -ﷺ- عدة طرق لتنمية مهارات أصحابه الفكرية والعلمية، لعل من أهمها ما يأتي:

أ- الحث على طلب العلم:

حث النبي -ﷺ- أصحابه على طلب العلم، فبين لهم فضل العلماء على غيرهم، وفضل طلب العلم؛ فشحذ هممهم إليه، فنشطوا لطلبه؛ ابتغاء عظيم أجره، والنصوص النبوية في ذلك كثيرة جدًّا، منها:

- قوله -ﷺ-: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).
- وقوله -ﷺ-: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢).
- وقوله -ﷺ-: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٣).
- وقوله -ﷺ-: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٤).

ب- مدح أصحاب الكفاءات العلمية والثناء عليهم:

من الطرق التي استعملها النبي -ﷺ- في تنمية مهارات أصحابه الفكرية والعلمية، مدحه أصحاب الكفاءات العلمية، والثناء عليهم؛ مما يكون له أبلغ الأثر في شحذ همة أصحاب هذه الكفاءات؛ لتنمية أنفسهم، وتعاهد مهاراتهم وصقلها وتطويرها؛ كي ينالوا شرف مدح النبي -ﷺ- لهم، وهو ما يعد منقبة عظيمة، وشهادة لا يعدلها شيء، وقد ملئت كتب السنن والسير بما يدل على ذلك، ومنه على سبيل المثال:

- قوله -ﷺ- مادحًا جماعة من صحابه: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ، إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٥/٣٦، ح (٢١٧١٥)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب (الحث على طلب العلم)، ٣١٧/٣، ح (٣٦٤١)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب (ما جاء في فضل الفقه على العبادة)، ٤٨/٥، ح (٢٦٨٢)، وابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، ٨١/١، ح (٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، ١٩٢/٦، ح (٥٠٢٧).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)، ٢٥/١، ح (٧١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب (النهي عن المسألة)، ٧١٩/٢، ح (١٠٣٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب (ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته)، ١٢٥٥/٣، ح (١٦٣١).

عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»[١]، فالنبي -ﷺ- في هذا الحديث يمدح -إلى جانب مدحه رحمة أبي بكر، وقوة عمر، وحياء عثمان- إتقانَ أُبَيٍّ لكتاب الله -عز وجل، ومهارة زيد بن ثابت الفرضية، وعلم معاذ وفقهه، وما تأتّى لهم ذلك إلا لأنهم أكفأ من غيرهم فيما مدحوا به، كذلك فإن مدح النبي -ﷺ- لهم سيزيدهم حرصًا على تطوير أنفسهم، وصقل مهاراتهم.

- ومن ذلك -أيضًا- ما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله -ﷺ-: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ...»[٢]، فالنبي -ﷺ- لما رأى من أبي هريرة حرصًا على العلم؛ مدحه بذلك، مُشعرًا إياه أنه يملك مهارة علمية وفكرية تؤهله لطرح أسئلة واستفسارات لا تعرض لغيره ممن ليس في مرتبته العلمية.

- ومن ذلك -أيضًا- قوله -ﷺ- لأُبي بن كعب -رضي الله عنه-: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: **ا**للَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**Z**، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»[٣].

فقول النبي -ﷺ- لأُبيٍّ: «لِيَهْنِكَ العلم»، وضربه صدره: تنشيط له، وترغيب في أن يزداد علمًا وبصيرة، وفرح بما ظهر عليه من آثاره المباركة...[٤].

- وكذلك مدح النبي -ﷺ- عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- لَمّا رأى منه فطنة وذكاء وأمانة، وذلك قبل إسلام ابن مسعود، فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: كنت غلامًا يَافِعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي -ﷺ-، وأبو بكر -رضي الله عنه-، وقد فَرَّا من المشركين، فقالا: «يَا غُلَامُ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا؟»، قلت: إني مُؤْتَمَنٌ، وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا، فقال النبي -ﷺ-: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟» قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي -ﷺ- ومسح الضرع، ودعا، فَحَفَلَ الضرع، ثم أتاه أبو بكر -رضي الله عنه- بصخرة مُنْقَعِرَةٍ، فاحتلب فيها، فشرب، وشرب أبو بكر، ثم شربت، ثم قال للضرع: «اقْلِصْ» فَقَلَصَ، فأتيته بعد ذلك، فقلت: علمني من هذا القول؟ قال: «**إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**»[٥]، فأثمر هذا القول في ابن مسعود خيرًا، وصار من أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى، قال -رضي الله عنه-: «وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ»[٦].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب (الحرص على الحديث)، ٣١/١، ح (٩٩).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (فضل سورة الكهف، وآية الكرسي)، ٥٥٦/١، ح (٨١٠).
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤٣٦/٢.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ٤١٦/٧، ح (٤٤١٢).
(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب (القراء من أصحاب النبي ﷺ)، ١٨٦/٦، ح (٥٠٠٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب (فضائل عبد الله بن مسعود...)، ١٩١٢/٤، ح (٢٤٦٢).

- وكذلك كان النبي -ﷺ- يمدح صغار أصحابه ممن يرى فيهم ذكاء وفطنة وفهمًا، ويدعو لهم؛ فتنمو مهاراتهم، وتشحذ هممهم، كما فعل مع ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو غلام صغير، حيث قال: "أتيت رسول الله -ﷺ- من آخر الليل، فصليت خلفه، فأخذ بيدي، فَجَرَّنِي، فجعلني حِذَاءَهُ، فلما أقبل رسول الله -ﷺ- على صلاته، خَنَسْتُ، فصلى رسول الله -ﷺ-، فلما انصرف قال لي: «مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ؟» ، فقلت: يا رسول الله، أَوَيَنْبَغِي لأحد أن يصلي حِذَاءَكَ، وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟ قال: فَأَعْجَبَتْهُ، فدعا الله لي أن يزيدني عِلْمًا وَفَهْمًا"[1].

وقد أثمر هذا الهدي النبوي، وهذه التنمية المباركة في ابن عباس أيما إثمار؛ فصار عالِم الصحابة، وفقيههم، وضربت إليه أكباد الإبل؛ ليُجلس في حلقته، ونَقَل حديث رسول الله -ﷺ-، بل لُقِّب بالحَبر وبتُرجمان القرآن، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «نِعْمَ، تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ»[2].

ج- العصف الذهني:

من أهم أساليب تنمية المهارات الفكرية والإبداعية: أسلوب العصف الذهني أو القدح الذهني؛ وهو يقوم على مبدأ إطلاق حرية التفكير والترحيب بكل الأفكار مهما يكن مستواها، ما دامت متصلة بالمشكلة موضوع الاهتمام، وهذا يرسخ لفكرة محتواها: كلما كانت الفكرة فجة أو بكرًا، أي: غير مصقولة، أو مشذَّبة، كانت أفضل؛ فالمهم وجود أفكار، وسيكون تشذيبها فيما بعد أسهل، والغرض من هذا: مساعدة الفرد على أن يكون أكثر استرخاءً، وأقل تحفظًا، وبالتالي أعلى كفاءة في توظيف قدراته على التخيل، وتوليد الأفكار[3].

وقد استعمل النبي -ﷺ- أسلوب العصف الذهني؛ لتنمية مهارات أصحابه الفكرية والعلمية، بطرح الأسئلة والألغاز عليهم؛ ليلفت انتباههم، وينشط أذهانهم، وينمي تفكيرهم، فتظهر مهاراتهم وقدراتهم الفكرية الإبداعية، وتنكشف الكفاءات فتوظف توظيفًا حسنًا، ومما روي عنه -ﷺ- في هذا:

- حديث أُبَيّ بن كعب السابق، أن النبي -ﷺ- سأله: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ ...»[4]، قال أبو العباس القرطبي: وفي هذا الحديث جواز إلقاء العالم المسائل على المتعلم؛ ليختبره بذلك[5].
- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: يوما لأصحابه: «إِنَّ مِنَ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٧٨/٥، ح (٣٠٦٠)، والحاكم في مستدركه، ٦١٥/٣، ح (٦٢٧٩)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، باب (ما ذكر في ابن عباس)، ٣٨٣/٦، ح (٣٢٢٢٠)، والحاكم في مستدركه، ٦١٨/٣، ح (٦٢٩١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٣) مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، ص٨٠.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤٣٦/٢.

الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فوقع الناس في شجر الْبَوَادِي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ فقال: «هِيَ النَّخْلَةُ» قال: فذكرت ذلك لعمر، فقال: لَأَنْ تكون قلت: هي النخلة، أحب إلي من كذا وكذا(١).

وقد بوب الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: "باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم"، ومن جميل ما قيل في معنى هذا الحديث المبارك، قول البدر العيني: "الحديث فيه استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر... وفيه جواز اللغز مع بيانه... وفيه جواز ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الأفهام، وتصوير المعاني في الذهن، وتحديد الفكر، والنظر في حكم الحادثة"(٢).

- ومن ذلك ما رواه أبو بكرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- سأل أصحابه في حجة الوداع، فقال لهم: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟» قلنا: بلى، قال: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟»، قلنا: بلى، قال: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا...»(٣).

فقوله -ﷺ-: «أي شهر هذا؟» و: «أي بلد هذا؟» و: «أي يوم هذا؟» وسكوته بعد كل واحد منها؛ كان ذلك منه استحضارًا لفهومهم، وتنبيهًا لغفلتهم، وتنويهًا بما يذكره لهم؛ حتى يُقبلوا عليه بكليتهم، ويستشعروا عظمة حرمة ما عنه يخبرهم(٤).

د- النقد البناء:

من الأساليب التي استعملها النبي -ﷺ- في تنمية مهارات أصحابه الفكرية والعلمية: تعليمهم النقد البناء، وتوفير المناخ المناسب لهذا النقد، بمنح أصحابه كامل الحرية في إبداء آرائهم، والتعبير عنها، وإشعارهم بالطمأنينة والثقة التامة، فيُفَعِّل النبي -ﷺ- مبدأ الشورى؛ عملًا بقوله تعالى: **:وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِZ** (٥)، وقوله: **:وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْZ**(٦)، بل ويأمرهم النبي -ﷺ- ببذل النصح على المستويات كافة، فعن تميم الداري -رضي الله عنه-

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب (طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم)، ٢٢/١، ح (٦٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب (مثل المؤمن مثل النخلة)، ٢١٦٤/٤، ح (٢٨١١).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٥/٢.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب (الخطبة أيام منى)، ١٧٦/٢، ح (١٧٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب (تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال)، ١٣٠٥/٣، ح (١٦٧٩).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤٧/٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) سورة الشورى، آية: ٣٨.

قال: قال رسول الله ﷺ-: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١).

وقد استعمل النبي -ﷺ- الأسلوب النقدي؛ لتقويم بعض السلوكيات، وإقامة الحجة بطريقة مقنعة، ومن ذلك ما رواه أبو أمامة -رضي الله عنه- قال: إن فتى شابًّا أتى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، ائْذَنْ لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا»، قال: فجلس قال: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قال: لا، والله جعلني الله فداءك. قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ»، قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(٢). فالنبي -ﷺ- يعلم الصحابة في هذا الحديث أن النقد البناء أفضل من الزجر والعقوبة، وأقنع من النهي المباشر، الذي قد يأتي بنتائج عكسية.

هـ- إرشاد الكفاءات العلمية إلى تعلم مهارات جديدة:

كان من حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه الفكرية والعلمية، أنه إذا رأى نبوغًا ظاهرًا، وذكاء حادًّا، ومهارة علمية عالية في أحد أصحابه أمره بتعلم مهارات جديدة؛ مستعملًا كفاءته في خدمة الرسالة، ومرشدًا إياه بما يصقل مهاراته وينميها، فعن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: «تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ» قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: «فَتَعَلَّمْهَا» فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا(٣).

فإن النبي -ﷺ- لما رأى مهارة زيد بن ثابت العلمية، واللغوية؛ أرشده إلى تعلم السريانية؛ ليقرأ له الرسائل، ويزداد زيد علمًا، وقد روي عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: «أن زيد بن ثابت كان يكتب العربية، والعبرانية»(٤)، هكذا روي: "العبرانية"، فإما أن يكون المراد بها "السريانية"، لكنه اختلاف الروايات، ويحتمل أن يكون زيد -رضي الله عنه- أتقن ذلك كله: العربية، والعبرانية، والسريانية، ولا إشكال في هذا؛ فإن من قدر على إتقان لغة جديدة في سبعة عشر يومًا، فهو على غيرها أقدر.

و- التحفيز الإيجابي:

سياسة التحفيز الإيجابي من أهم الطرق التي فَعَّلَها النبي -ﷺ-؛ تنمية لمهارات

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (بيان أن الدين النصيحة)، ٧٤/١، ح (٥٥).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٥٤٥/٣٦، ح (٢٢٢١١).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٦٣/٣٥، ح (٢١٥٨٧)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب (رواية حديث أهل الكتاب)، ٣١٨/٣، ح (٣٦٤٥)، والترمذي في سننه، كتاب الاستئذان والآداب، باب (ما جاء في تعليم السريانية)، ٦٧/٥، ح (٢٧/٥)، وهو حديث حسن صحيح كما قال الترمذي.
(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، ٤٧٦/٣.

أصحابه الفكرية والعلمية، وهي نهج قرآني، فإن الله -عز وجل- قال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (١)، ومن أعظم أساليب التحفيز الإيجابي التي استعملها النبي -ﷺ-؛ لتنمية مهارات أصحابه الفكرية والعلمية، وشحذ هممهم لطلب العلم والتفقه في الدين: أنه كان يُقَرِّب ويُدْني منه ذوي العقل والعلم والفهم، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (٢).

وهكذا حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه الفكرية والعملية، بالسبل المشروعة والمبتكرة كافة؛ لصناعة كفاءات علمية قادرة على حمل رسالة الإسلام، وتحقيق أهدافها، وحفظ التراث العلمي من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وما يتعلق بهما من علوم شرعية؛ فكان الصحابة -رضوان الله عليهم- أهم حلقة في سلسلة تحقيق موعود الله بحفظ هذا الدين وتبليغه للناس، وقد أسسوا مدارس علمية امتد أثرها إلى يومنا هذا، وما زال العلماء وطلبة العلم يتناولون طرائقهم ومناهجهم العلمية والفكرية بالبحث والدراسة والتأليف، ويفيدون منها.

٣- المهارات القيادية:

حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه القيادية، سواء على مستوى القيادات العسكرية أو الإدارية، حرصًا شديدًا، واعتنى بها عناية فائقة؛ ولا يخفى ما للمهارات القيادية من دور مهم في تحقيق رسالة الأمة وأهدافها؛ ولأن التعويل الأكبر عليها في الاستفادة من طاقات وقدرات أفراد الأمة، وتوظيفها توظيفًا حسنًا.

وإن المطلع على سيرة النبي -ﷺ- يلحظ هذا الاهتمام البالغ بتنمية المهارات القيادية، والاعتناء بها، ومن هذا ما فعله النبي -ﷺ- لما قدم عليه ثلاثة من سادات قريش ليُسلِموا في هدنة الحديبية: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، فقال -ﷺ- حين رآهم: «ألقت إليكم مكَّة أفلاذ كبدها- يعني أنهم وجوه أهل مكَّة-» (٣).

وعن خالد بن الوليد -رضي الله عنه- قال: "دخل رسول الله -ﷺ- مكة في عمرة القضاء، فَتَغَيَّبْتُ ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي -ﷺ- في عمرة القضاء، فطلبني فلم يجدني، فكتب إلي كتابًا، فإذا فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أما بعد، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعَقْلُكَ عَقْلُكَ! ومثل الإسلام جهله أحد؟! وقد سألني رسول الله -ﷺ- عنك، وقال: «**أَيْنَ خَالِدٌ؟**» فَقُلْتُ: يَأْتِي اللَّهُ بِهِ. فَقَالَ: «**مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الْإِسْلَامَ، وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَحَدَّهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ**». فَاسْتَدْرِكْ يا أخي ما قد فَاتَكَ، فقد فَاتَكَ مَوَاطِنُ صالحة. قال: فلما جاءني كتابه نَشِطْتُ للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عني" (٤).

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب (تسوية الصفوف... وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام)، ٣٢٣/١، ح (٤٣٢).

(٣) معرفة الصحابة، ٩٢٦/٢، وأسد الغابة، ٥٧٢/٣.

(٤) مغازي الواقدي، ٧٤٧/٢، والبداية والنهاية، ٤٠٦/٦.

فالناظر في هذا الأثر يلحظ عدة أمورٍ، منها:

- اهتمام النبي -ﷺ- بخالد بن الوليد -رضي الله عنه-؛ حيث سأل عنه لمّا دخل مكة، ولم يكن ليسأل عنه لولا اهتمامه به؛ لعلمه بكفاءته القيادية، ومكانته التي لا ينبغي أن تهمل.

- حرص النبي -ﷺ- على استقطاب كفاءة قيادية كخالد بن الوليد -رضي الله عنه- إلى صفوف المسمين، وعزمه على توظيف هذه الكفاءة توظيفًا يليق بها، والاستفادة من خبراته القيادية في ارتقاء ونهضة المسلمين، وأن مثل هذه الكفاءة ليست كغيرها، ظهر ذلك في قوله -ﷺ-: «**وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ**».

- ظهور أثر قول النبي -ﷺ-: «**مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الْإِسْلَامَ... وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ**» في نفس خالد بن الوليد؛ إذ كان دافعًا له للدخول في الإسلام والانضمام لصفوف المسلمين، وهو يعلم أنه سيدخل الإسلام قائدًا مُكَرَّمًا مُقَدَّمًا على غيره ممن ليسوا في كفاءته القيادية، حتى وإن كانوا أسبق منه إسلامًا، وهذا ما قطع عن خالد بن الوليد تذبذبه في دخول الإسلام، وخوفه من أن يلحقه الذل والصغار إن ساد المسلمون، بعد أن كان قائدًا وسيدًا مطاعًا في قومه، حيث قال بعد الحديبية: «قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين المذهب؟ إلى النجاشي؟ فقد اتبع محمدًا، وأصحابه عنده آمنون، فأخرج إلى هرقل؟ فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيم في عَجَمٍ تَابِعًا، أو أقيم في داري فيمن بقي؟»[1]، فبينا هو على هذه الحالة إذ بلغه قول النبي -صلى الله عليه وسلم فيه؛ فعلم أن إسلامه سيكون رفعة لمكانته أكثر من ذي قبل؛ فأسلم من غير تردد، قال: «فلما جاءني كتابه -أي كتاب أخيه- نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله -ﷺ- عني»[2].

ومن كمال اهتمام النبي -ﷺ- بأصحاب المهارات القيادية، وحرصه على تنمية مهاراتهم وتعزيزها: أنه حرص -ﷺ- على احترامهم وإظهار التقدير لهم، والسرور بهم، كما حرص على بث الثقة فيهم، بالتغاضي عن عداوتهم القديمة إذا انضموا إلى صفوف المسلمين، بل وبمدحهم والثناء عليهم؛ مما يكون له أعظم الأثر فيهم.

يقول خالد بن الوليد -رضي الله عنه- حاكيًا عن قدومه هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة -رضي الله عنهم- على النبي -ﷺ- مسلِمين: ثم عمدت إلى رسول الله -ﷺ- فلقيني أخي، فقال: أسرع، فإن رسول الله -ﷺ- قد أُخْبِرَ بك، فَسُرَّ بقدومك، وهو ينتظركم؛ فأسرعنا المشي، فاطلعت عليه، فما زال يتبسم إلي حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة، فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. فقال: «**تعال**». ثم قال رسول الله -ﷺ-: «**الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي هَدَاك! قَدْ كُنْت أَرَى لَك عَقْلًا رَجَوْت أَلّا يُسَلِّمَك إلّا إلَى الْخَيْرِ**». قلت: يا رسول الله، قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معاندا للحق، فادع الله أن يغفرها لي فقال رسول الله -ﷺ-: «**الإسلام يَجُبّ مَا كَانَ قَبْلَهُ**». قلت: يا رسول الله، على ذلك. قال: «**اللّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كُلَّ مَا**

(١) مغازي الواقدي، ٧٤٦/٢، والبداية والنهاية، ٤٠٥/٦.
(٢) المصدران نفسهما.

أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِكَ»[١].

فمما يلفت النظر في هذه الرواية: سرور النبي -ﷺ- بهؤلاء الكرام، وانتظارهم، والفرح بقدومهم مسلمين، وكذلك مدحه "خالد بن الوليد" في هذه اللحظة التي جاء فيها مسلمًا مع ما وقع منه من عداوة ومحاربة للمسلمين، ولم يُظهر له النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئًا ولو يسيرًا من المعاتبة أو التأنيب، بل هَشَّ له وبَشَّ، وأعظم من ذلك مدحه عقل خالد وحكمته في هذه اللحظة، وذكر ما تميز به من كفاءة، بل وبشارته إياه بمحو سجل عدائه القديم للإسلام والمسلمين؛ وهذا ما أحدث في نفس خالد -رضي الله عنه- شعورًا عظيمًا بقيمته وذاته وتقدير قائده له، فعبر عن ذلك بقوله: **"فوالله ما كان رسول الله -ﷺ- يعدل بي أحدًا من أصحابه فيما حَزَبَهُ"**[٢].

ولم يكن فِعْلُ النبي -ﷺ- مع هؤلاء الصحابة مجرد تجمل لهم بحسن الاستقبال، بل بدأ -من فوره- استثمار كفاءاتهم وتوظيفها ووضعها في المكان الذي تستحقه، منفذًا وعده بتقديمهم على غيرهم، "فلم يزل من حين أسلم خالد ورَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوليه أعنة الخيل، فيكون في مقدمتها في محاربة العرب، ودفع إلى عثمان بن طلحة، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة مفاتيح الكعبة، وقال: خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم"[٣].

وكذلك فعل النبي -ﷺ- مع عمرو بن العاص، فما إن أسلم حتى جعله أميرًا على الجيش في غزوة ذات السلاسل، وتحت إمرته كبار الصحابة من المهاجرين الأولين والأنصار ممن هم أقدم منه إسلامًا وهجرة، حتى ظن عمرو -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قَدَّمَه عليهم لأنه أحب إليه منهم؛ فسأله: "يا رسول الله: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» فقال عمرو: مِنَ الرِّجَالِ؟ فقَالَ النبي -ﷺ-: «أَبُوهَا» فقال عمرو: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالًا، فقال عمرو: فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ"[٤].

ولما عَلِمَ النبي -ﷺ- أمانة أبي عبيدة بن الجراح، واكتمال هذه الخصلة المباركة فيه أيما اكتمال؛ أثنى عليه النبي -ﷺ-، ومدحه بها، وسماه: "أمين الأمة"، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ»[٥]، وإمعانًا في تنمية هذه الخصلة المباركة في أبي عبيدة -رضي الله عنه-، فإن النبي ﷺ وَلَّاه -لأمانته- جمع الجزية من أهل نجران؛ مُعْلِمًا الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- أن الأمانة من أهم صفات القائد المسلم، فعن حذيفة بن اليمان -رضي

---

(١) مغازي الواقدي، ٧٤٩/٢، والبداية والنهاية، ٤٠٨/٦.

(٢) المصدران نفسهما.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤٢٨/٢، ١٠٣٤/٣.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب (غزوة ذات السلاسل)، ١٦٦/٥، ح (٤٣٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه)، ١٨٥٦/٤، ح (٢٣٨٤).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب (مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه)، ٢٥/٥، ح (٣٧٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب (فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه)، ١٨٨١/٤، ح (٢٤١٩).

الله عنه-، قال: جاء العاقب والسيد، صاحبا نجران، إلى رسول الله -ﷺ-... فقالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا. فقال: «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فاستشرف له أصحاب رسول الله -ﷺ- فقال: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فلما قام، قال رسول الله -ﷺ-: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»[1].

وفي هذه الروايات دليل على ما تميز به أبو عبيدة -رضي الله عنه- من اكتمال صفة الأمانة فيه، وبلوغه الغاية القصوى فيها، فإن "الأمانة كانت مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، لكن النبي -ﷺ- خص بعضهم بصفات غلبت عليه وكان بها أخص، وقيل: خصه بالأمانة لكمال هذه الصفة فيه"[2].

ولم تقتصر صناعته -ﷺ- الكفاءات البشرية على العناية والاهتمام بتنمية مهارات كبار أصحابه القيادية، بل حرص -ﷺ- على صناعة الكفاءات البشرية من خلال تنمية مهارات صغار أصحابه، وتوظيف ما لديهم من قدرات قيادية؛ لينشئوا أصحاب كفاءات تفيد منهم الأمة، ويشاركوا في نهضتها، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، منها:

حرصه -ﷺ- على تنمية مهارة أسامة بن زيد بن حارثة القيادية، فإن أسامة -رضي الله عنه- الذي لم يتجاوز عمره يوم توفي النبي -ﷺ- عشرين عامًا، رأى النبيُّ -ﷺ- فيه إقدامًا وجرأة وشجاعة لا مثيل لها، فتَذْكُر الروايات أنه "لما تجهز النبي -ﷺ- لغزوة أحد أتاه أسامة يريد الجهاد، فرده النبي -ﷺ-؛ لصغر سنه"[3]، فإذا كان عمر أسامة يوم توفي النبي -ﷺ- ثمانية عشر عامًا على ما أورده أصحاب السير[4]؛ فيكون عمره يوم أراد الجهاد في أُحُدٍ عشر سنين تقريبًا أو يزيد قليلًا، وما زال يعرض نفسه والنبي -ﷺ- لا يجيزه، "حتى كانت غزوة الخندق فأجازه، وكانت أول مشاهده مع النبي -صلى الله عليه وسلم-"[5].

فما كان النبي -ﷺ- ليترك هذه المهارة والهمة العالية من "أسامة" دون تنمية، وتوظيف؛ فسمح له بالجهاد يوم الخندق، وفي غيرها من الغزوات التي تلتها، ليس هذا فحسب، بل أراد النبي -ﷺ- أن يصنع منه قائدًا عظيمًا، وليس مجرد جندي شجاع مقدام؛ لِمَا يراه من استعداد أسامة لهذا، وتفوقه على أقرانه، فكما تذكر المصادر: أنه شارك في غزوة مؤتة تحت قيادة أبيه زيد بن حارثة، فلما استشهد الأمراء الثلاثة: زيد، وجعفر، وابن رواحة -رضي الله عنهم-؛ صارت إمرة الجيش إلى خالد بن الوليد -رضي الله عنه- فقال "النبي -صلّى الله عليه وسلم- حين بَلَغَهُ أن الراية صارت إلى خالد بن الوليد: «فَهَلَّا إِلَى رَجُلٍ قُتِلَ أَبُوهُ»، يعني: أسامة بن زيد"[6].

فالنبي -ﷺ- هنا يُعْلِم الصحابة أن "أسامة" صاحب الستة عشر عامًا تقريبًا، مؤهل لقيادة جيش المسلمين، في لحظة عصيبة كهذه، ليس هذا فحسب، بل يكون تحت إمرته

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب (قصة أهل نجران)، ١٧٢/٥، ح (٤٣٨٠).
(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ٦٢/١.
(٣) مغازي الواقدي، ٢١٦/١.
(٤) ينظر: الاستيعاب، ٧٥/١، وسير أعلام النبلاء، ٥٠٠/٢.
(٥) سيرة ابن هشام، ٦٦/٢، والبداية والنهاية، ٣٥٣/٥.
(٦) طبقات ابن سعد، ٦٢/٤، وتاريخ دمشق، ٧٢/٨، وسير أعلام النبلاء، ٥٠٢/٥.

كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وما هذا إلا لعلمه بقدرة "أسامة" على هذا، واستعداده النفسي والعقلي والبدني له، فأحب النبي -ﷺ- أن يتولى "أسامة" قيادة المسلمين؛ ليثبت قدرته على القيادة، وليعلم الناس صلاحه لذلك الأمر.

وبالفعل حرص النبي -ﷺ- على تنمية قدرات "أسامة" ومهاراته، فجهز جيشًا لغزو الروم سنة إحدى عشرة للهجرة، وأَمَّرَ على الجيش أسامة بن زيد -رضي الله عنه-، وهو ابن ثماني عشرة سنة، وجعل تحت إمرته كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، كأبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة، وغيرهم، ولما وجد بعض الناس من إمرة "أسامة" شيئًا في نفوسهم؛ لصغر سنه، ظنًّا منهم أنه لا يصلح للقيادة، أعلم النبي -ﷺ- الناس جميعًا أن "أسامة" يمتلك مقومات القائد الناجح، فقال -ﷺ-: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ -يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ- فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَايْمُ اللهِ إِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ -يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ- وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ، فَأُوصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ»(١).

وقد كان لهذا أثر كبير في نفس أسامة بن زيد -رضي الله عنه-؛ فقد أثبت مهارة قيادية فائقة، فإن النبي -ﷺ- مات قبل تحرك هذا الجيش، فلما تولى أبو بكر -رضي الله عنه- الخلافة أنفذ بعث أسامة؛ تنفيذًا لأمر النبي -ﷺ-، فأدى أسامة مهمته على أكمل وجه، وحقق انتصارًا عظيمًا، "وسَلِمَ المسلمون فلم يصب منهم -يومئذ- أحد، وغنموا غنائم كثيرة لم يغنموا مثلها، وفتح الله عليهم، وأخاف بهم الروم والمرتدين وغيرهم"(٢).

وهكذا حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه القيادية، ونصوص السنن والسير في ذلك أكثر من أن تحصى، وقد ظهر أثر ذلك جليًّا واضحًا في حياة النبي -ﷺ-، وبعد مماته، فقد استطاع هؤلاء القادة الذين نشأوا في مدرسة النبي -ﷺ- تغيير خريطة العالم في مدة لا تساوي في عمر الزمن شيئًا، ففتحوا البلاد والأمصار، حتى امتدت حدود دولتهم من أطراف الصين شرقًا حتى جنوب فرنسا غربًا، وتمكنوا من فتح إفريقيا، والمغرب، والأندلس وغير ذلك.

٤- المهارات الاقتصادية:

حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه الاقتصادية، كما حرص على تنمية غيرها من المهارات، ويمكن تعريف التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي بأنها: "مجموعة الأنشطة التي تستهدف تحقيق قدر من الرخاء المادي المناسب؛ لتفتح جوانب الشخصية الإنسانية، بما يؤهلها للقيام بحق الاستخلاف في الأرض"(٣).

وقد ظهر حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه الاقتصادية من خلال حثهم على الكسب والعمل، وتوجيههم، ومدح أصحاب المهارات الاقتصادية منهم؛ ولا يخفى ما

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب (مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ)، ٢٣/٥، ح (٣٧٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما)، ١٨٨٤/٤، ح (٢٤٢٦).

(٢) ينظر: مغازي الواقدي، ١١٢٢/٣ وما بعدها.

(٣) مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، ص٢٨٩.

للاقتصاد من أهمية كبيرة في بناء الأمم ونهضتها؛ ولذلك حرص النبي -ﷺ- لما هاجر من مكة إلى المدينة على تأسيس سوق لأهل المدينة يتبايعون فيه، فعن عطاء بن يسار قال: " لما أراد رسول الله -ﷺ- أن يجعل للمدينة سوقًا أتى سوق بني قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال: «هَذَا سُوقُكُمْ، فَلَا يُضَيَّقُ، وَلَا يُؤْخَذُ فِيهِ خَرَاجٌ»[١].

ومما روي عنه -ﷺ- في حرصه على تنمية مهارات أصحابه الاقتصادية: حثهم على الكسب والعمل، فقال -ﷺ-: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ»[٢]، وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»[٣].

وأمرهم -ﷺ- بإتقان العمل، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»[٤]، وأمرهم كذلك بكل ما فيه خير تجاراتهم وصناعتهم وزراعتهم، ونهاهم عن مفسداتها، كالغش، والغرر، والربا، والإسراف، وغير ذلك مما وردت به النصوص النبوية الشريفة.

ومن الأساليب التي استعملها النبي -ﷺ- في تنمية مهارات أصحابه الاقتصادية: تصحيح مفاهيمهم الاقتصادية، فعن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: بعث إِلَيَّ رسول الله -ﷺ-: «أَنْ خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ ثُمَّ ائْتِنِي» فأخذت عليَّ ثيابي وسلاحي ثم أتيته، فوجدته قاعدًا يتوضأ، فَصَعَّدَ فيَّ النظر، ثم طَأْطَأَ، ثم قال: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ يُغْنِمُكَ اللَّهُ وَيُسَلِّمُكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً» فقلت: يا رسول الله، لم أُسْلِمْ للمال، إنما أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون معك، فقال: «يَا عَمْرُو، نعمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ، لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[٥].

فالنبي -ﷺ- هنا يصحح مفهومًا عند عمرو بن العاص -رضي الله عنه-، وهو اعتقاده وجود منافاة بين الإيمان وجمع المال، فيُعْلِمه النبي -ﷺ- أنه لا تنافي بينهما، بل ينبغي للمسلم أن يكون له مال يستعين به على أمر دينه ودنياه، فيقول: «نعمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ، لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

إن قوله -ﷺ-: «نعمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ، لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ» يبعث لنا إشارات واضحة حول نظرة الإسلام للمال؛ "فالمال الحلال الكثير ممدوح حين يقع في يد رجل صالح،

---

(١) تاريخ المدينة المنورة، ١٨٣/١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٣٤/٤٠، ح (٢٤٠٣٢)، وأبو داود في السنن، كتاب البيوع، باب (في الرجل يأكل من مال ولده)، ٢٨٨/٣، ح (٣٥٢٨)، والترمذي في السنن، كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب (ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده)، ٦٣١/٣، ح (١٣٥٨)، والنسائي في السنن، كتاب البيوع، باب (الحث على الكسب)، ٢٤٠/٧، ح (٤٤٤٩)، وابن ماجه في السنن، كتاب التجارات، باب (الحث على المكاسب)، ٧٢٣/٢، ح (٢١٣٧)، وهو حديث حسن كما قال الترمذي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢٥١/٢٠، ح (١٢٩٠٢)، ورجاله أثبات ثقات، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٦٣/٤، ح (٦٢٣٣).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٣٠٦/٢٤، ح (٧٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢٣٢/٧، ح (٤٩٢٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢٩٨/٢٩، ح (١٧٧٦٣)، والحاكم في مستدركه، ٢٥٧/٢، ح (٢٩٢٦)، وهو حديث صحيح كما قال الحاكم.

ينمي به صلاح نفسه، وينفقه في وجوه الخير، وينمي به صلاح الآخرين، ويسد به خلاتهم، وهذا المال يجعل التنمية الاقتصادية في الرؤية الإسلامية جزءًا من تنمية متكاملة تنسجم جميع جوانبها، ويعزز كل جانب منها باقي الجوانب، ويتعزز به، ويحكمه كما يُحكم به"(١).

ومن تنمية النبي -ﷺ- مهارات أصحابه الاقتصادية: مدحه التجار المهرة منهم، ومباركة صفقاتهم التجارية الرابحة، فعن عروة البارقي -رضي الله عنه-: «أَنّ النَّبي -ﷺ- أَعْطَاهُ دِينَارًا يَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً، فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ، وَكَانَ لَوِ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ»(٢)، وفي رواية قال له: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ»(٣)، وقد ظهر أثر هذا في تجارة عروة -رضي الله عنه-، فقال: «فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَقِفُ بِكُنَاسَةِ الْكُوفَةِ، فَأَرْبَحُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى أَهْلِي، وَكَانَ يَشْتَرِي الْجَوَارِيَ وَيَبِيعُ»(٤).

ومن طرقه -ﷺ- في تنمية مهارات أصحابه الاقتصادية: أنه كان يعلمهم التجارة، ويدلهم على ما يَعِفُّون به أنفسهم عن المسألة، ويدفعون به الفقر والحاجة، فعن أنس بن مالك، قال: جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فشكا إليه الفاقة، ثم رجع فقال يا رسول الله، لقد جئتك من أهل بيت ما أراني أرجع إليهم حتى يموت بعضهم، فقال له: «انْطَلِقْ هَلْ تَجِدُ مِنْ شَيْءٍ؟» فانطلق فجاء بِحِلْسٍ وَقَدَحٍ، فقال يا رسول الله، هذا الْحِلْسُ كانوا يفترشون بعضه، ويلبسون بعضه، وهذا الْقَدَحُ كانوا يشربون فيه، فقال رسول الله -ﷺ-: «مَنْ يَأْخُذُهُمَا مِنِّي بِدِرْهَمٍ؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، فقال -ﷺ-: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟» فقال رجل: أنا آخذهما باثنين، فقال: «هُمَا لَكَ». قال: فدعا الرجل فقال له: «اشْتَرِ فَأَسًا بِدِرْهَمٍ وَبِدِرْهَمٍ طَعَامًا لِأَهْلِكَ»، قال: ففعل، ثم رجع إلى النبي -ﷺ- فقال: «انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَلَا تَدَعْ حَاجًا وَلَا شَوْكًا وَلَا حَطَبًا، وَلَا تَأْتِنِي خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا»، فانطلق فأصاب عشرة دراهم. ثم جاء إلى النبي -ﷺ- فأخبره، فقال: «فَانْطَلِقْ فَاشْتَرِ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ طَعَامًا، وَبِخَمْسَةٍ كِسْوَةً لِأَهْلِكَ»، فقال يا رسول الله، لقد بارك الله لي فيما أمرتني، فقال: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وَجْهِكَ نُكْتَةُ الْمَسْأَلَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ، أَوْ غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ فَقْرٍ مُدْقِعٍ»(٥).

٥- المهارات الاجتماعية:

من المهارات التي حرص النبي -ﷺ- على تنميتها في أصحابه: المهارات الاجتماعية؛ كأحد سبل صناعة الكفاءات البشرية التي تحتاج إليها الأمة؛ لتحقق أهداف

(١) مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، ص٢٨٩.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، ٢٠٧/٤، ح (٣٦٤٢).
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، ٥٥١/٣، ح (١٢٥٨).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ١٦/٣٢، ح (١٩٣٦٢).
(٥) أخرجه أحمد في مسند، ١٨٢/١٩، ح (١٢١٣٤)، وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب (ما تجوز فيه المسألة)، ١٢٠/٢، ح (١٦٤١)، والترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب (ما جاء في بيع من يزيد)، ٥١٣/٢، ح (١٢١٨)، وابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب (بيع المزايدة)، ٧٤٠/٢، ح (٢١٩٨)، وهو حديث حسن كما قال الإمام الترمذي.

رسالتها، وتُشَيّد بنيان نهضتها وَرُقيها، ولأهمية العلاقات الاجتماعية في تكوين قوة الأمة ووحدتها؛ كان أول ما فعله النبي -ﷺ- لما هاجر إلى المدينة، مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وقد حرص النبي -ﷺ- على بث القيم الخُلقية التي تقوم عليها العلاقات الاجتماعية، ودعا إلى تفعيلها والحرص عليها، ومن ذلك:

- قوله -ﷺ-: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ»(١).
- وقوله -ﷺ-: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(٢).
- وقوله -ﷺ-: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»(٣).

وغير ذلك من القيم الخلقية الاجتماعية الكثيرة التي حث النبي -ﷺ- عليها، ليس هذا فحسب، بل تعاهد النبي -ﷺ- آحاد أصحابه بالنصح والتوجيه؛ كي يرسخوا علاقاتهم الاجتماعية بإخوانهم، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك، قال: مر رجل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وعند النبي -ﷺ- رجل جالس، فقال الرجل: والله يا رسول الله، إني لأحب هذا في الله، فقال رسول الله -ﷺ-: «أَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ؟» قال: لا، قال: «قُمْ فَأَخْبِرْهُ تَثْبُتِ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا»، فقام إليه فأخبره، فقال: إني أحبك في الله، أو قال: أحبك لله، فقال الرجل: أحبك الذي أحببتني فيه(٤).

ومن ذلك أيضًا حرصه -ﷺ- على تنمية مهارات أبي ذر -رضي الله عنه- الاجتماعية، فعلمه ما يكسب به قلوب الناس، وودهم، وتحسن به علاقاته الاجتماعية بهم، فعن أبي ذر، قال: قال لي النبي -ﷺ-: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(٥). وكذلك علمه ما تحسن به علاقاته الاجتماعية بجيرانه، فعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»(٦).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب (الأمر باتباع الجنائز)، ٧١/٢، ح (١٢٤٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب (من حق المسلم للمسلم رد السلام)، ١٧٠٤/٤، ح (٢١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٠١/٣٩، ح (٢٣٧٨٤)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٦٥٢/٤، ح (٢٤٨٥)، وهو حديث صحيح كما قال الترمذي.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، ١١/٨، ح (٦٠١٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (الحث على إكرام الجار والضيف...)، ٦٩/١، ح (٤٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١٦٩/٢١، ح (١٣٥٣٥)، والحاكم في مستدركه، ١٨٩/٤، ح (٧٣٢١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب (استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء)، ٢٠٢٦/٤، ح (٢٦٢٦).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب (الوصية بالجار والإحسان إليه)، ٢٠٢٥/٤، ح (٢٦٢٥).

٦- المهارات الإبداعية:

الإبداع هو: "تجسيد لقدرة الفرد على استخدام طرائق غير تقليدية في تحقيق إنجاز تتوافر فيه سمات الأصالة والابتكار"(١)، وقد حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه الإبداعية، كجمال الصوت، والشِّعر، والرمي، والرياضة، وغير ذلك؛ لصناعة كفاءات بشرية في المجالات كافة، وعلى الأصعدة كافة؛ لتخدم الأمة من كل جهة، وبكل سبيل مشروع، وتحقق أهداف رسالتها على أكمل وجه؛ فيكون رقيها ونهضتها.

فمن حرصه -ﷺ- على تنمية مهارات المبدعين من أصحاب الحناجر المميزة، والأصوات الندية: مدحه جمال صوت بلال بن رباح -رضي الله عنه-؛ فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لعبد الله بن زيد -رضي الله عنه- لما أخبره برؤيا الأذان: «إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا حَقٍّ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَإِنَّهُ أَنْدَى وَأَمَدُّ صَوْتًا مِنْكَ، فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا قِيلَ لَكَ، وَلْيُنَادِ بِذَلِكَ»(٢)، ومن يومها صار بلال مؤذن النبي -ﷺ- بالمدينة المنورة.

ولما سمع النبي -ﷺ- جمال صوت أبي محذورة -رضي الله عنه- وهو ابن ست عشرة سنة قبل إسلامه؛ مدح مهارته، وكافأه ودعا له؛ فظهر أثر ذلك في أبي محذورة، فأسلم، وتنبه لموهبته، فطلب أن يكون مؤذن النبي -ﷺ- بمكة، فأجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى طلبه، يقول أبو محذورة: «ثُمَّ دَعَانِي حِينَ قَضَيْتُ التَّأْذِينَ، فَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا شَيْءٌ مِنْ فِضَّةٍ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى نَاصِيَةِ أَبِي مَحْذُورَةَ، ثُمَّ أَمَرَّهَا على وجهه، ثم على ثدييه، ثم على كبده، ثم بلغت يد رسول الله ﷺ سُرَّةَ أبي محذورة، ثم قال رسول الله -ﷺ-: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ» فقلت: يا رسول الله أمرتني بالتأذين بمكة؟ قال «نَعَمْ، قَدْ أَمَرْتُكَ»(٣).

(١) الموهبة والإبداع، تيسير صبحي، ص٣٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٠٢/٢٦، ح (١٦٤٧٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب (كيف الأذان)، ١٣٥/١، ح (٤٩٩)، والترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب (ما جاء في بدء الأذان)، ٣٥٨/١، ح (١٨٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأذان والسنة فيه، باب (بدء الأذان)، ٣٢٣/١، ح (٧٠٦)، وهو حديث حسن صحيح كما قال الترمذي.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٩١/٢٤، ح (١٥٣٧٦)، والنسائي في سننه، كتاب الأذان، باب (كيف الأذان)، ٥/٢، ح (٦٣٢)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأذان والسنة فيه، باب (الترجيع في الأذان)، ٢٣٤/١، ح (٧٠٨).

وكذلك مدح النبي -ﷺ- جمال صوت أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- لما سمعه يقرأ القرآن، فقال له: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[1]، وقد أتى هذا المدح من النبي -ﷺ- لأبي موسى ثماره، وودّ أبو موسى لو أرى النبيَّ -ﷺ- أفضل ما عنده من مهارة وموهبة، فقال أبو موسى للنبي -ﷺ-: «أَمَا إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهَا لَكَ تَحْبِيرًا»[2].

ومن تعاهده -ﷺ- أصحاب المهارات الإبداعية: مدحه مهارة حسان بن ثابت الشعرية، فإنه -ﷺ- لما سمع هجاء حسان مشركي قريش؛ أعجبه، وقال له: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ... هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»[3].

ومن تنميته -ﷺ- مهارات أصحابه: اهتمامه بمهارة الرمي، وهي مهارة رياضية وقتالية مهمة، فأعلمهم -ﷺ- أهميتها، فعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله -ﷺ- وهو على المنبر، يقول: **:**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةZ [4]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[5]، وقال -ﷺ-: «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا» أَوْ «قَدْ عَصَى»[6].

وشجعهم -ﷺ- على الرمي وإتقانه، وشاركهم تعلمه؛ تحفيزًا لهم، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: مر النبي -ﷺ- على نفر من أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ -أي يتسابقون في الرمي بالسهام-، فقال النبي -ﷺ-: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فقال رسول الله -ﷺ-: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟»، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قال النبي -ﷺ-: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»[7].

ومدح -ﷺ- المهرة منهم، وأظهر إعجابه بهم، فعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- جمع له أبويه يوم أُحُدٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- لسعد: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» قَالَ فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب (حسن الصوت بالقراءة للقرآن)، ١٩٥/٦، ح (٥٠٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (استحباب تحسين الصوت بالقرآن)، ٥٤٦/١، ح (٧٩٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب (قول أبي موسى للمصطفى ﷺ أن لو علم مكانه لحبر له)، ١٦٩/١٦، ح (٧١٩٧) والبيهقي في السنن الكبير، كتاب صلاة التطوع، باب (من جهر بالقراءة إذا كان من حوله لا يتأذى بقراءته)، ١٨/٣، ح (٤٧٠٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه)، ١٩٣/٤، ح (٢٤٩٠).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه)، ١٥٢٢/٣، ح (١٩١٧).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه)، ١٥٢٢/٣، ح (١٩١٩).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (التحريض على الرمي)، ٣٨/٤، ح (٢٨٩٩).

نَصْلٌ، فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ فَسَقَطَ، فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ[١]، وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ حَسَنَ الرَّمْيِ، فَكَانَ إِذَا رَمَى تَشَرَّفَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَيَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ نَبْلِهِ»[٢].

بل حرص النبي -ﷺ- على تنمية المهارات الرياضية، فقد كان النبي -ﷺ- يَصِفُ عبد الله، وَعُبَيْدَ اللَّهِ، وَكُثَيِّرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا» فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ[٣]، بل قال -ﷺ-: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[٤]، ومن حرصه -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه الرياضية أنه رأى رجلًا عظيم الْبَطْنِ، فجعل النبي -ﷺ- يومئ بيده إلى بطن الرجل ويقول: «لَوْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»[٥]، في إشارة منه -ﷺ- إلى أهمية حرص المسلم على تناسق بدنه ولياقته.

وحرص النبي -ﷺ- كذلك على تنمية المهارات والمواهب الخُلُقية التي قلما تجتمع في امرئ، وهي من صفات ومهارات القادة والكفاءات البشرية، بمدحها وتزكية أصحابها، ومن ذلك مدحه أَشَجّ عَبْد الْقَيْسِ، بقوله: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»[٦].

إن هذا الاهتمام النبوي بتنمية المهارات، ورعاية أصحابها، يلفت النظر إلى أن النبي -ﷺ- حرص أشد الحرص على تكوين مجتمع متكامل، فلم يغفل النبي -ﷺ- شيئًا يمكن أن يسهم في بناء صرح الأمة، وكمال نهضتها، وتحقيق أهداف الرسالة المباركة، إلا عمل على تطويره، وتنميته.

وما فعله النبي -ﷺ- هو بمنزلة خارطة طريق لكل من أراد تحقيق النهضة والرقي والتقدم على الأصعدة كافة؛ ولا سيما وقد حقق به النبي -ﷺ- نتائج ملموسة على أرض الواقع، فلم تكن سيرته مجرد تنظير منفصل عن الواقع، بل كانت فعلًا واقعيًّا، ونَبْتةً صالحة، بذر بذرتها خير البرية -ﷺ-، فأثمرت، وأينعت، وآتَتْ أكلها، فمن سلك سبيله، وسار على دربه؛ حصل له مراده، وتحققت أهدافه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب (في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه)، ١٨٧٦/٤، ح (٢٤١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (المِجَنّ ومن يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صاحبه)، ٣٨/٤، ح (٢٩٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٣٥/٣، ح (١٨٣٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب (الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله)، ٢٠٥٢/٤، ح (٢٦٦٤).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٢٠/٣١، ح (١٨٩٨٤)، والحاكم في مستدركه، ١٣٥/٤، ح (٧١٤١)، وهو حديث صحيح الإسناد كما قال الحاكم.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، الدين، والدعاء إليه)، ٤٨/١، ح (١٧).

المبحث الثاني

معايير اختيار الكفاءات البشرية، وتوظيفُها في ضوء السنة النبوية

- **أولًا- معايير اختيار الكفاءات البشرية في ضوء السنة النبوية:**

تجلت عبقرية النبي -ﷺ- في اختيار الكفاءات البشرية، من خلال معرفته الكاملة بقدرات أصحابه، ومهارات كل واحد منهم؛ بحيث لا يسند للرجل منهم ما لا يحسنه، ومن خلال استقراء كتب السنة والسير، يمكن القول إن النبي -ﷺ- وضع معيارين رئيسين في اختيار الكفاءات البشرية من بين أصحابه -رضوان الله عليهم-:

أحدهما: تقديم الأكفأ على غيره: فإن النبي -ﷺ- كان إذا أراد إسناد مهمة أو أمر إلى أحد من أصحابه اختار أكفأهم في هذه المهمة، وقدمه على غيره ممن يفضله في جوانب أخرى، فمثلًا: قدم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد في القيادة العسكرية على غيرهما ممن هم أقدم منهما إسلامًا، وأسبق منهما هجرة، وأكثر منهما علمًا وورعًا من كبار الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- الذين لا تساوي كفاءتهم القيادية كفاءة عمرو وخالد، وأسند مهمة الأذان لبلال بن رباح، دون عبد الله بن زيد صاحب رؤيا الأذان؛ لأن بلالًا أندى صوتًا من عبد الله، وقد أرسى النبي -ﷺ- قاعدة تقديم الأكفأ على غيره بقوله: «مَنِ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، فَقَدْ خَانَ اللهَ، وَرَسُولَهُ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ»(١).

والآخر: استبعاد من تستشرف نفسه للولاية والقيادة وهو ليس أهلًا لها: فقد كان -ﷺ- يرفض إسناد الأمر لمن تتوق نفسه للولاية والقيادة، فيطلبها مستشرفًا لها، وأعلن -ﷺ- ذلك بكل وضوح وصراحة فقال: «إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ»(٢).

وبهذا يكون النبي -ﷺ- مؤسسًا للمعايير الموضوعية لاختيار الكفاءات على الأصعدة كافة، بكل نزاهة وشفافية، من غير مجاملة أو محسوبية، وهذا سر من أسرار النجاح الإداري لمن أراد تحقيق أعلى درجات الرفعة في مسيرته الإدارية على مستوى الأفراد والمجتمعات.

وبالإضافة إلى هذين المعيارين يمكن -من خلال استقراء السيرة النبوية- الوقوف على جملة من المعايير النبوية لاختيار الكفاءات في مختلف المجالات، ووضعها في مكانها المناسب، منها:

أولًا- معايير اختيار السفراء:

لما رجع رسول الله -ﷺ- من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل الرسل إلى

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبير، كتاب آداب القاضي، باب (لا يُوَلِّي الوالي امرأة، ولا فاسقا، ولا جاهلا أمر القضاء)، ٢٠١/١٠، ح (٢٠٣٦٤)، والحاكم في المستدرك، ١٠٤/٤، ح (٧٠٢٣)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب (ما يكره من الحرص على الإمارة)، ٦٤/٩، ح (٧١٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها)، ١٤٥٦/٣، ح (١٧٣٣).

الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتبًا، فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرءون كتابًا إلا مختومًا؛ فاتخذ رسول الله -ﷺ- يومئذ خاتمًا من فضة، فصه منه نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله وختم به الكتب(١).

وبتدقيق النظر في سيرة النبي -ﷺ-؛ يتبين أنه اختار هؤلاء الرسل الذين بعثهم للملوك بعناية فائقة، ودقة متناهية، وبمعايير محددة، ويمكن إجمال هذه المعايير النبوية فيما يأتي:

١ - صلابة العقيدة وثباتها مع قوة الانتماء وحسن التصرف: فهذه أهم صفات يجب توافرها في السفراء الذين يفدون على الملوك وذوي السلطان والجاه؛ إذ إنها تعد حصنًا حصينًا يمنع من تردي السفراء في مزالق الانحراف أمام ترغيب الملوك وترهيبهم.

ولعل هذا كان دافعًا وراء اختيار النبي -ﷺ- عبد الله بن حذافة رسولًا إلى كسرى عظيم فارس، وبتدقيق النظر في هذا الاختيار النبوي المبارك؛ يُلْحَظ أمر مهم، وهو كفاءة عبد الله بن حذافة وصلاحيته؛ فلِعلم النبي -ﷺ- بحال كسرى وتغطرسه؛ اختار عبد الله بن حذافة سفيرًا له.

فإن عبد الله بن حذافة قوي الإيمان صلب العقيدة مع ولاء وحسن تصرف، وكسرى جبار متكبر، فيحتمل أن يلحق الضرر برسول رسول الله؛ ولهذا الاحتمال فإن هذه المهمة لا يصلح لها إلا رجل في إيمان عبد الله بن حذافة وجرأته وحسن تصرفه، وتَذْكر كتب السير شيئًا عن هذه الصفات في ابن حذافة -رضي الله عنه-، ومن هذا:

ما روي عن ابن عباس قال: أسرت الروم عَبْد اللَّهِ بْن حذافة السهمي، صاحب النَّبِيّ -ﷺ-، فقال له الطاغية: تَنَصَّر وَإلا ألقيتك في البقرة (لبقرة من نحاس)، قال: ما أفعل. فدعا بالبقرة النحاس فملئت زيتًا وأغليت، ودعا برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية، فأبى، فألقاه في البقرة، فإذا عظامه تلوح، وقال لعبد الله: تنصّر إلا ألقيتك. قال: ما أفعل. فأمر به أن يلقى في البقرة فبكى، فقالوا: قد جَزِعَ، قد بكى. قال: ردوه. قال: لا ترى أنى بكيت جزعًا مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ، ثم تُسلط عليّ فتفعل بي هذا. قال: فأعجب منه وأحب أن يطلقه، فقال: قبل رأسي وأطلقك. قال: ما أفعل. قال: تنصر وأزوجك بنتي وأقاسمك ملكي. قال: ما أفعل. قال: قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين.

قال: أما هذه فنعم. فقبل رأسه، وأطلقه، وأطلق معه ثمانين من المسلمين، فلما قدموا على عمر بْن الخطاب قام إليه عمر فقبل رأسه، قال: فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله فيقولون: قبلت رأس علج، فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين(٢).

وقيل إن ملِكَ الروم حبسه ومعه لحمُ خنزيرٍ مشويٌّ وماءٌ ممزجٌ بخمرٍ ثلاثة أيام فأبَى

(١) طبقات ابن سعد، ٢٥٨/١.
(٢) أسد الغابة، ١٠٩/٣.

أن يأكله وقال: لقد أحله الله لي، ولكن لم أكن لأُشمِّتَك بدين الإسلام[١].

فهذه الروايات وأمثالها كثير يدل على أن النبي -ﷺ- حرص على أن يكون سفراؤه ذوي عقيدة صلبة، مع انتماء وحسن تصرف؛ كي يتمكنوا من إبلاغ رسالة النبي -ﷺ- من غير رهبة من الملوك، ولا رغبة فيما عندهم من المغريات والمتع.

٢- تقديم أصحاب العلاقات الدبلوماسية على غيرهم: فقد اختار النبي -ﷺ- "عمرو بن العاص سفيرًا إلى جَيْفَرٍ وعبد[٢] ابْنَيْ الْجُلُنْدَى الْأَزْدِيّيْنِ، مَلِكَيْ عُمَانَ"[٣]، والمطلع على سيرة عمرو -رضي الله عنه- يدرك أنه كان في الجاهلية يفد على الملوك كثيرًا، وكان معروفًا عند ملوك الحبشة والروم، حتى إن النجاشي كان يخاطبه بقوله: "مرحبا بصديقي"، وقد كان -قبل إسلامه- سفير قريش إلى النجاشي مرتين، كما ذكر ذلك أصحاب السير[٤].

٣- اللباقة وجمال الهيئة وحُسن المظهر: لذا ترى النبي -ﷺ- قد استعمل دحية الكلبي -رضي الله عنه- رسولًا إلى هرقل عظيم الروم؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ»[٥].

وقد اشتهر دحية -رضي الله عنه- بشدة جماله وحسن مظهره، فقد كان جميلًا من أجمل الناس وجهًا، ويضرب به المثل في حسن الصورة، بل كان أشبه بأمين الوحي جبريل -عليه السلام-، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ-، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ»[٦].

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان دِحيةُ الكلبيُّ تشبِه لحيتُه وسِنُّه ووجهُه جبريلَ عليه السلامُ»[٧].

ولهذا فإن جبريل -عليه السلام- كان يأتي النبي -ﷺ- أحيانا على صورة دحية الكلبي

---

(١) تاريخ دمشق، ٣٦٠/٢٧.
(٢) وقيل: اسمه "عَيّادٍ".
(٣) الروض الأنف، ٤٦٥/٧.
(٤) ينظر: الروض الأنف، ٤٦٥/٧، وعيون الأثر، ٣٣٥/٢.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (دعاء النبي -ﷺ- الناس إلى الإسلام والنبوة...)، ٤٥/٤، ح (٢٩٤٠).
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات)، ١٥٣/١، ح (١٦٧).
(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب المغازي، باب (غزوة الخندق)، ٣٧٣/٧، ح (٣٦٧٩٦)، وأحمد في مسنده، ٢٦/٤٢، ح (٢٥٠٩٧)، والحاكم في مستدركه، ٣٧/٣، ح (٤٣٣٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

-رضي الله عنه-، فعن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال: «أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- وعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَن هذا؟ -أَوْ كما قَالَ- قَالَتْ: هذا دِحْيَةُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللَّهِ ما حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ»(١).

وفي غزوة بني قريظة مر رسول الله -ﷺ- بنفر من أصحابه قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: «هَلْ مَرَّ بِكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: مَرَّ عَلَيْنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ تَحْتَهُ قَطِيفَةُ دِيبَاجٍ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ بِدِحْيَةَ، وَلَكِنَّهُ جِبْرِيلُ أُرْسِلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ؛ لِيُزَلْزِلَهُمْ وَيَقْذِفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ»(٢).

وكذلك ظهر هذا المعيار النبوي في اختيار جرير بن عبد الله البَجَلِيّ -رضي الله عنه-؛ فقد "بعثه رسولُ اللَّه -ﷺ- إلى ذِي الْكُلَاعِ بن نَاكُورَ بن حَبِيبِ بن مالك بن حسان بن تُبَّعٍ الحميري(٣)، وإلى ذِي عَمْرٍو(٤) يدعوهما إلى الإسلام؛ فأسلما وأسلمَتْ ضَرِيبَةُ بنت أَبْرَهَةَ بن الصَّبَّاحِ امْرَأَةُ ذِي الْكُلَاعِ"(٥).

وقد كان جرير -رضي الله عنه- جميل الخلقة ذا هيئة حسنة، فرُوي أنه لما قَدِمَ على النبي -ﷺ- مُسْلِمًا، وكان -ﷺ- يخطب على المنبر فقال لأصحابه: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، إِلَّا أَنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ»(٦).

وكان عمر بن الخطاب يقول: "جَرِيرٌ يُوسُفُ هذه الأمة"(٧)؛ لجماله وحسنه، وقال عبد الملك بن عُمَيْرٍ: "رأيتُ جَرِيرًا كأن وَجْهَهُ شَقَّةُ قمر"(٨)، وكان -رضي الله عنه- "طويلاً يصل إلى سنام البعير، وكانت نعله ذراعًا، ويخضب لحيته بزعفران بالليل ويغسلها إذا أصبح"(٩).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب (علامات النبوة في الإسلام)، ٢٠٦/٤، ح (٣٦٣٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (من فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها)، ١٩٠٦/٤، ح (٢٤٥١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب المغازي، باب (وقعة الأحزاب وبني قريظة)، ٣٦٧/٥، ح (٩٧٣٧)، والحاكم في مستدركه، ٣٧/٣، ح (٤٣٣٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) كان رئيسًا متبوعًا في قومه. (ينظر: أسد الغابة، ٢٢٠/٢).

(٤) هو رجل من أهل اليمن ذو رأي وسلطان فيهم. (ينظر: أسد الغابة، ٢١٨/٢).

(٥) طبقات ابن سعد، ٢٦٤/١.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، باب (ما ذكر في جرير بن عبد الله رضي الله عنه)، ٣٩٧/٦، ح (٣٢٣٤١)، وأحمد في مسنده، ٥١٦/٣١، ح (١٩١٨٠)، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الجمعة، باب (الرخصة في تعليم الإمام الناس ما يجهلون في الخطبة...)، ١٤٩/٣، ح (١٧٩٧)، وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة...، باب (ذكر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه)، ١٧٣/١٦، ح (٧١٩٩)، والحاكم في مستدركه، ٤٢٢/١، ح (١٠٥٣)، والبيهقي في دلائل النبوة، ٣٤٦/٥، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كما قال الحاكم.

(٧) البداية والنهاية، ٢٤٤/١١.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) تهذيب الأسماء واللغات، ١٤٧/١.

وأول سفير في الإسلام جعفر بن أبي طالب أرسله النبي -ﷺ- إلى النجاشي؛ لما أذن للمسلمين في الهجرة إلى الحبشة، ولا يخفى ما تمتع به جعفر -رضي الله عنه- من الجمال وحسن الخِلقة، وليس أدل على هذا من قول النبي -ﷺ- له: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»[1]، وكفى بها منقبة؛ أن يشبه جعفر النبيَّ -ﷺ- في جمال خلقته، وكمال أخلاقه.

وكذلك بعث النبي -ﷺ- معاذ بن جبل -رضي الله عنه- رسولًا إلى الحارث وشريح ونعيم أبناء عبد كُلَالٍ باليمن، وكان معاذ رَجُلًا، شَابًّا، جميلًا، من أحسن الناس وجهًا، طُوَالًا، أبيض، أَكْحَل العينين، مجموع الحاجبين، حسن الثَّغْرِ، بَرَّاق الثنايا، من أفضل سادات قومه، سَمْحًا لا يُمْسِكُ[2].

هذا وقد صرح النبي -ﷺ- بضرورة تحقق هذا المعيار في السفراء، فقال فيما روي عنه -ﷺ-: «إِذَا أَبْرَدْتُمْ بَرِيدًا، فَأَبْرِدُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الاسمِ»[3].

فهذا يدل على أن النبي -ﷺ- كان حريصًا على اختيار ذوي الهيئات الحسنة ليرسلهم إلى الملوك؛ وهذا لما لجمال الهيئة وحسن المظهر من أثر طيب في النفس، وقبول لا ينكر، وكذلك فإن الدخول على الملوك ليس كالدخول على غيرهم، فقد كان -ﷺ- حكيمًا يضع الشيء في موضعه، ويختار من الكفاءات ما يناسب المهمة التي تسند إليهم؛ ولهذا قالوا: "يجب أن يكون الَّذِي تختاره للتوجه فِي الرسائل جهر الصَّوْت، حسن الرواء والمنظر، مَقْبُول الشَّمَائِل، حسن الْبَيَان، جيد الْعبارَة"[4].

٤- الذكاء والفطنة وسرعة البديهة: وهذا معيار في غاية الأهمية في السفير؛ لما قد يتعرض له من مواقف مع الملوك وذوي السلطان، مما يحتاج إلى الذكاء والفطنة وسرعة البديهة، وقد ظهر هذا المعيار في اختيار حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- "أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها"[5]، فقد "بعثه النبي -ﷺ- إلى المقوقس ملك الإسكندرية"[6].

ومضى حاطب بكتاب رسول الله -ﷺ- فلما انتهى إلى الإسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر، فلما حاذى مجلسه، أشار بكتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين إصبعيه، فلما رآه المقوقس؛ أمر بالكتاب فقُبض، وأمر بحاطب فأُوصل إليه، وقرأ المقوقس كتاب رسول -ﷺ- فقال: "ما منعه إن كان نبيًا أن يدعو علي فيسلط علي؟" فقال له حاطب: "ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على مَنْ أبى عليه أن يُفْعَل به ويُفْعَل؟" ووجم المقوقس ساعة، ثم استعادها، فأعادها عليه حاطب، فسكت[7].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب (عمرة القضاء)، ١٤١/٥، ح (٤٢٥١). (٤٢٥١).

(٢) طبقات ابن سعد، ٢٦٤/١، ٥٨٩/٣، ٥٩٠، وأسد الغابة، ١٨٧/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب السير، باب (ما قالوا في الولاة يَجِدُ الْبَرْدَ فَيُبْرِدُ)، ٤٧٠/٦، ح (٣٣٠٠٨)، والبزار في مصنفه، ٢٧٨/١٠، ح (٤٣٨٣).

(٤) رسل الملوك، ص٣٤.

(٥) الإصابة، ٥/٢.

(٦) سيرة ابن هشام، ٦٠٧/٢.

(٧) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ٢٩/٥.

وفي رواية قال المقوقس لحاطب: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبي؟ قلت: بلى، هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال: فقلت: عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يغلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله عز وجل، حتى رفعه الله إليه في السماء الدنيا، قال: أنت حكيم جاء من عند حكيم(١).

وكذلك ظهر هذا المعيار النبوي في اختيار عمرو بن العاص سفيرًا إلى جَيْفَرٍ وعبد ابْنَيْ الْجُلُنْدَى الْأَزْدِيِّيْنِ، مَلِكَيْ عُمَانَ؛ فإن عمرو رضي الله عنه أحد دهاة العرب، كما قال الشعبي: "دهاة العرب أربعة: معاوية بْن أَبِي سفيان، وعمرو بْن العاص، والمغيرة بْن شعبة، وزياد، فأما معاوية بْن أَبِي سفيان فللأناة والحلم، وأما عَمْرو بْن العاص فللمعضلات..."(٢).

وقد قيل: "اختر لرسالتك فِي هدنتك، وصلحك، ومهماتك، ومناظرتك، والنيابة عَنْك، رجلا حصيفاً بليغاً، قَلِيل الْغَفْلَة، منتهز الفرصة، ذَا رَأْي جزل، وَقَول فصل، ولسان سليط، وقلبٍ حَدِيد، فطنًا للطائف التَّدْبِير، ومستقلاً لما ترجو أَو تحاول بالحزامة وإصابة الرَّأْي"(٣).

٥- الشجاعة والجرأة وعدم هيبة الملوك: فإن السفير لابد أن يكون شجاعًا جريئًا لا يهاب الملوك، ولا يخشى الدخول عليهم، فإنه بمنزلة المتحدث الرسمي باسم دولته وإمامه، فإن ظهر في حال ضعف وخوف؛ اهتزت صورته في أعين من ذهب إليهم، ولم يعبأ بالرسالة التي جاء بها، ولم يُقم لها وزن، ولذا قد حرص النبي -ﷺ- على أن يكون سفراؤه ذوي جرأة وشجاعة.

فقد أرسل النبي -ﷺ- حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاكم الإسكندرية، وحاطب أحد فرسان الصحابة وشجعانهم، فقال حاطب للمقوقس -غير هائب-: "إنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى؛ فانتقم الله به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك، وإن لك دِينًا لن تدعه إلا لما خير منه، وهو الإسلام الكافي الله به فَقْد ما سواه، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنّا نأمرك به"(٤).

وكذلك ظهر هذا المعيار في اختيار جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- سفيرًا إلى النجاشي ملك الحبشة، فإنه لما "بَعَثت قريشٌ عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد؛ ليحرضا النجاشي على المسلمين الذي هاجروا إلى الحبشة، فبعث إليهم النجاشي، فلما دخل جعفر على النجاشي فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال: وما ذاك؟ قال: «إن الله عز وجل بعث إلينا رسوله صلى الله

(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة، ٦٩٦/٢، ح (١٨٧١)، والبيهقي في دلائل النبوة، كتاب المغازي، باب (ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس)، ٣٩٥/٤.
(٢) أسد الغابة، ٢٣٨/٥.
(٣) رسل الملوك، ص٣٤.
(٤) فتوح مصر وأخبارها، ص٥٢.

عليه وسلم، وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة»، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله عز وجل، هو كلمة الله وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر..."[1].

٦- الحلم: وهذا معيار مهم أيضا في اختيار السفراء؛ فإن "الرسول يحتاج الحلم وكظم الغيظ؛ لأنه ربما وُجِّه إلى سخيف، ودُفِع إلى طائش؛ فبدرت إليه منه الكلمة البذية، فيلحقه من سورة الغضب، ويتملك عليه من سلطان الغيظ ما يتخون عزمه ورأيه، ويقطعه عن استيفاء حججه وإيفاء كل ما في رسالته؛ فهو مع الحلم والكظم أخلق بالنجاح وبلوغ المراد"[2].

وقد ظهر هذا المعيار في اختيار النبي -ﷺ- عمرو بن العاص سفيرًا إلى جَيْفَرٍ وعبد ابْنَيْ الْجُلُنْدَى الْأَزْدِيِّيْنِ، مَلِكَيْ عُمَانَ، وقد كان عمرو بن العاص -رضي الله عنه- حليمًا، ومما روي في حلمه: أن رجلا قال له: والله لأتفرَّغَنَّ لك، قال: هنالك وقعت في الشُّغلِ، قال: كأنك تهددني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولن لك عشرًا، فقال عمرو: وأنت والله لئن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة[3].

٧- العلم والفقه: حرص النبي -ﷺ- على أن يكون سفراؤه من علماء الصحابة وفقهائهم؛ كي يبلغوا رسالة النبي -ﷺ- إلى الملوك بعلم، ويبينوا تعاليم الدين الذي جاء به، ويُعَرِّفوا الملوك قواعده وأحكامه، وكذلك ليكونوا على قدر المسئولية إذا سألهم الملوك عن حال النبي -ﷺ- وعن تعاليم الدين من أوامر ونواهي، وكذلك ليكونوا على علم بعقيدة هؤلاء الملوك وما يدينون به؛ ليظهروا لهم ما يوافق فيه الإسلام ما يعتقدونه من مكارم الأخلاق، وغير ذلك مما يدينون به.

وقد ظهر هذا في اختيار جعفر بن أبي طالب سفيرًا إلى النجاشي، وما دار بينه وبين النجاشي من حوار أظهر فيه جعفر كفاءة عجيبة، وعلمًا وفقهًا بدينه أولًا، ثم بعقيدة النجاشي والرهبان الذين حوله؛ مما جعل النجاشي يُقر بما قاله ويُسْلم من فوره.

وكذلك اختيار عمرو بن العاص -رضي الله عنه- للسفارة؛ فإنه من فقهاء الصحابة، ومما يدل على ذلك إقرار النبي -ﷺ- اجتهاده في استنباط الحكم الفقهي من القرآن، فعن عمرو بن العاص أنه قال: "لما بعثني رسول الله -ﷺ- عام ذات السلاسل، فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول الله -ﷺ- ذكرت ذلك له، فقال: «يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة

(١) سير أعلام النبلاء، ١٥٣/١، والحديث في مسند أحمد، ٤٠٨/٧، ح (٤٤٠٠).
(٢) رسل الملوك، ص٤٠.
(٣) العقد الفريد، ١٣٤/٢.

البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله عز وجل: **:وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًاZ**[١] فتيممت، ثم صليت، فضحك رسول الله -ﷺ- ولم يقل شيئًا[٢].

وكذلك ظهر هذا المعيار جليًّا في بعث النبي -ﷺ- معاذ بن جبل -رضي الله عنه- إلى ملوك اليمن الحارث بن عبد كُلَالٍ وَشُرَيْحُ بن عبد كُلَالٍ وَنُعَيْمُ بن عبد كُلَالٍ، ونعمان، وغيرهم[٣]، ولا تخفى مكانة معاذ العلمية بين الصحابة -رضوان الله عليهم-، ويكفي للاستدلال على هذا قول النبي -ﷺ-: «أعلمُ أمتي بالحلال والحرام معاذُ بن جبل»[٤].

ثانيًا- معايير اختيار القادة العسكريين:

١- المهارة القتالية والخبرة العسكرية:

نظر النبي -ﷺ- إلى المهارة القتالية والخبرة العسكرية بوصفه أهم معيار في معايير اختيار القادة العسكريين، وهذا لا يقلل من أهمية المعايير الأخرى، لكنه قدم من توافر فيهم هذا المعيار على غيرهم، فعلى سبيل المثال: أسند القيادة إلى خالد بن الوليد -رضي الله عنه- بعد إسلامه مباشرة؛ لِمَا اشتُهر به خالد من المهارة والعبقرية العسكرية، التي لا زال الناس يعجبون منها إلى يومنا هذا، وكذلك ولى عمرو بن العاص -رضي الله عنه- القيادة فور إسلامه؛ لما اشتُهر به من المهارة والخبرة العسكرية، فعمرو "أحد دهاة العرب"[٥]، وكذلك كان علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم من القادة الذين اشتُهروا بمهاراتهم القتالية العالية، وخبرتهم العسكرية، حتى إن النبي -ﷺ- قال في عُكَّاشَة بن محصن، وهو أحد الذين ولاهم النبي -ﷺ- القيادة: «منا خَيْرُ فَارِسٍ فِي الْعَرَبِ، قَالُوا: وَمَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ»[٦].

٢- الشجاعة وقوة البأس:

هذا المعيار نجده محققًا في كل من ولاهم النبي -ﷺ- القيادة العسكرية في الغزوات والسرايا، بل منهم من لا يُعرف عنه إلا الشجاعة والإقدام وقوة البأس، وباطلاع يسير على سيرهم المباركة يُعلم هذا جيِّدا، فحمزة بن عبد المطلب أسد الله، وأسد رسوله، وسيد الشهداء، وعلي بن أبي طالب الفارس، الشجاع، أول فدائي في الإسلام، والزبير بن العوام حواري النبي -ﷺ-، وأول من سل سيفًا في الإسلام، فعن سفيان الثوري قال: "هؤلاء الثلاثة نجدة الصحابة: حمزة، وعلي، والزبير"[٧]، وسعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول، وعمرو بن العاص أحد شجعان

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣٤٦/٢٩، ح (١٧٨١٢)، وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب (إذا خاف الجنب البرد أيتيمم)، ٩٢/١، ح (٣٣٤).
(٣) طبقات ابن سعد، ٢٦٤/١، وسير أعلام النبلاء، ٢٨١/٢.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أسد الغابة، ٢٣٨/٥.
(٦) سيرة ابن هشام، ١/ ٦٣٨.
(٧) سير أعلام النبلاء، ٥٢/١.

العرب، ومحمد بن مسلمة قائد حرس النبي -ﷺ-، ورجل العمليات الخاصة، وكذلك كان كل القادة الذين اختارهم النبي -ﷺ- لا نظير لشجاعتهم وقوة بأسهم، رضي الله عنهم أجمعين.

٣- صلابة العقيدة وقِدَم الإسلام:

هذا معيار مهم من معايير اختيار القادة العسكريين، فإن المطلع على سيرة النبي -ﷺ- يلحظ أن أغلب من ولاهم النبي -ﷺ- قيادة السرايا كانوا من السابقين الأولين بالإسلام من المهاجرين والأنصار، بل إن طائفة كبيرة منهم كانوا من البدريين (الذين شهدوا بدرًا)، ولا يخفى ما لأهل بدر من الحظوة والكرامة في الإسلام، ومن هؤلاء القادة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وعبد الله بن جحش، وعكاشة بن محصن، وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن أنيس، وسالم بن عمير الأوسي، وغيرهم من كبار الصحابة من المهاجرين الأولين والأنصار، رضي الله عنهم أجمعين.

ولم يتخل النبي -ﷺ- عن هذا المعيار إلا في حالات قليلة، ولى فيها القيادة من اشتهروا بذكاء وخبرة عسكرية لا نظير لها؛ فقدمهم النبي -ﷺ- على من هم أقدم منهم إسلامًا، كما فعل مع عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد -رضي الله عنهما-، وحالات ولى فيها النبيُّ -ﷺ- القيادة لأناس ذوي رياسة وشرف في أقوامهم، فبعثهم بسرايا إلى قبائلهم، كما فعل مع عيينة بن حصن الفزاري، وابن أبي العوجاء السُّلَميّ، وعلقمة بن مجزز المُدْلِجِيّ، فقدمهم -كذلك- على من هم أقدم منهم إسلامًا.

٤- تقديم أهل الحضر على الأعراب وأهل البادية:

كان النبي -ﷺ- لا يؤمّر أهل الوبر على أهل الحضر، أي أنه لا يستعمل أعرابيًّا من أهل البادية على عربي من أهل المدن، فقد كان خمسة وثلاثون من قادته من أهل الحضر، واثنان من الأعراب، أحدهما: عيينة بن حصن الذي أرسله قائدًا لسرية في خمسين فارسًا إلى بَنِي تَمِيمٍ، وقد كان عيينة سيد غطفان، مسموع الكلمة في قومه، مهيب الجانب من القبائل كافة، يعرفون له مكانته، فلما امتنع فخذ من بني تميم عن دفع الصدقات بعث النبي -ﷺ- إليهم عيينة بن حصن، والآخر هو: الضَّحَّاكِ بن سفيان الْكِلَابِيِّ الذي كان من أشجع الشجعان، وكان يعد بمائة فارس، كما أنه مكث ردحًا طويلًا في المدينة إلى جانب النبي -ﷺ- سيافًا له، وقد ولاه على قومه في ظروف معينة[1].

وسبب العمل بهذا المعيار في اختيار القادة العسكريين: أن أهل الحضر أعرف بفنون القتال من أهل البادية، وأكثر صبرًا على معاناة الحرب، وأقدر على تحمل أعباء القتال، وأعرف بالأسلحة والتمرس باستعمالها، وأقدر على الحراسة والمناورة، وأعلم بالحصون واقتحامهما، والحصار وتبعاته من أهل البادية؛ ذلك أنهم عرضة للحروب أكثر من أهل البادية.

(١) قادة النبي -ﷺ-، ص١٦.

ثالثًا- معايير اختيار العلماء والدعاة:

أرسل النبي -ﷺ- جماعة من أصحابه إلى البلدان والقبائل التي دخل أهلها في الإسلام؛ لتعليمهم دينهم، ودعوة من بقي منهم على الكفر إلى الإسلام، كبعثه مصعب بن عمير إلى المدينة، وأبا موسى الأشعري، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وكذلك أمر النبي -ﷺ- الناس بأخذ القرآن عن جماعة من الصحابة، فقال: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»(١)، وقد كان للنبي -ﷺ- معايير في اختيار العلماء والدعاة للقيام بهذه المهام العظيمة، ومن خلال النظر في سيرة النبي -ﷺ- يمكن إجمال هذه المعايير فيما يأتي:

١- العلم بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-: وهو أهم معيار لابد من وجوده في العلماء والدعاة؛ فإن الكتاب والسنة هما أصل الأصول، ومنبع الشريعة، ولا يمكن للعالِم أو الداعية إنجاز مهمة تعليم الناس ودعوتهم إلا بهما، وقد تحقق هذا المعيار في الصحابة الذين وَكَلَ إليهم النبي -ﷺ- مهمة تعليم الناس ودعوتهم، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِن في رَسولِ اللَّهِ -ﷺ- بِضْعًا وسَبْعِينَ سُورَةً، واللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أصْحَابُ النَّبيِّ -ﷺ- أنِّي مِن أعْلَمِهِمْ بكِتَابِ اللَّهِ، وما أنَا بخَيْرِهِمْ»(٢).

وليس المراد هنا مجرد الحفظ، بل اقتران الحفظ والقراءة بالعلم، فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «وَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»(٣).

وأما العلم بسنة النبي -ﷺ- والتمسك بها فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: «مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ -ﷺ- مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»(٤).

٢- الفقه: لابد للعالم والداعية أن يكون فقهيًا عالمًا بالحلال والحرام؛ كي يدل الناس على أوامر الله وشريعته بأحسن طريق، من غير إفراط ولا تفريط، وقد دل على ذلك أمر النبي -ﷺ- لمعاذ وأبي موسى لَمَّا أرسلهما إلى اليمن فقال لهما: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»(٥).

وقد اختبر النبي -ﷺ- مهارة معاذ الفقهية؛ فإنه لَمَّا أراد بعثه إِلَى الْيَمَنِ قال له: "كَيْفَ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب (القراء من أصحاب النبي ﷺ)، ١٨٦/٦، ح (٤٩٩٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما)، ١٩١٣/٤، ح (٢٤٦٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب (القراء من أصحاب النبي ﷺ)، ١٨٧/٦، ح (٥٠٠٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما)، ١٩١٣/٤، ح (٢٤٦٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي -ﷺ-، باب (مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)، ٢٨/٥، ح (٣٧٦٢).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب (بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع)، ١٦١/٥، ح (٤٣٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (في الأمر بالتيسير، وترك التنفير)، ١٣٥٩/٣، ح (١٧٣٣).

تَقْضِي إِنْ عرض لَكَ قَضَاءٌ؟" قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟" قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ؟" قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو. قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَهُ"(١).

وقد شهد النبي -ﷺ- لمعاذ بالعلم والفقه، فقال: «أعلمُ أمتي بالحلال والحرام معاذُ بن جبل»(٢)؛ ولذا بعثه معلمًا للناس وقاضيًا بينهم، وما كان النبي -ﷺ- ليكلف معاذًا بهذه المهمة العظيمة؛ لولا علمه بكفاءته ومهارته الأصولية والفقهية.

٣- قوة الحِجاج والإقناع: هذا معيار مهم جدًّا في الداعية؛ لأن مهمته الأساسية يعتمد نجاحها على قوة حجته، ومهارته الإقناعية التي تمكنه من كسب أتباع جدد، وتحقيق أهداف رسالته، ونلمس هذا المعيار واضحًا في اختيار الدعاة الذين أرسلهم النبي -ﷺ- إلى القبائل والبلدان، ومثال ذلك: إرساله مصعب بن عمير -رضي الله عنه- إلى الأوس والخزرج في المدينة قبل هجرته -ﷺ- إليها، فنجح في مهمته نجاحًا بارعًا، وخبر ذهابه إلى المدينة يُظهر جليًّا هذا المعيار الذي كان سببًا في نجاح هذه المهمة.

فإنه استطاع بقوة حجته ومهارته إقناع أسيد بن حضير وسعد بن معاذ (وهما سيدا قومهما من بني عبد الأشهل) بالجلوس للاستماع لحديثه عن الإسلام والقرآن، بعدما اسْتَبَدَّتْ بهما سَوْرَةُ الغضب، ففي الخبر أن سعد بن معاذ لما سمع بقدوم مصعب ودعوته لأهل يثرب؛ غضب وبعث إليه أسيد بن حضير، وقال لأسيد: "لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين -يقصد مصعب وأسعد بن زرارة- اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدمًا"(٣).

"فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد ابن زرارة، قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما متشتمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ فقال أسيد: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله..."(٤).

فأسلم أسيد بن حضير، وفعل مصعب مع سعد بن معاذ مثلما فعل مع أسيد بن حضير؛ فأسلم سعد، ولم يبق في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، وظل مصعب يدعو الناس إلى الإسلام، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٩٧/١٦، ح (٢١٩٩٩)، وأبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب (اجتهاد الرأي في القضاء)، ص٦٤٤، ح (٣٥٩٢)، والترمذي في سننه، كتاب الأحكام عن رسول الله -ﷺ-، باب (ما جاء في القاضي كيف يقضي)، ص٣١٣، ح (١٣٢٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الخبر بكامله في سيرة ابن هشام، ٤٣٥/١.

(٤) المصدر نفسه.

ففي هذا الخبر تُلحظ مهارة مصعب بن عمير -رضي الله عنه- الدعوية، وقوة حجته، التي كانت سببًا -بفضل الله- في إسلام أسيد وسعد -رضي الله عنهما-، بل سببًا في انتشار الإسلام في المدينة كلها، وهذا إن دل فإنما يدل على عبقرية النبي -ﷺ- المؤيدة بالوحي الإلهي، فإنه -ﷺ- ما كان ليضع أحدًا في مكان إلا وهو أهل له.

٤- الأمانة: وهي معيار مهم مِن معايير مَن يتولى مهمة تعليم الناس ودعوتهم؛ كي يستشعر المسئولية الكبرى التي يتولى حملها؛ فيؤديها على وجهها من غير تقصير ولا تفريط، وقد ظهر هذا المعيار فيما يرويه أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله -ﷺ- فقالوا: ابعث معنا رجلًا يعلمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»(١).

رابعًا- معايير اختيار المُؤَذِّنين:

ذكر أصحاب السير أن النبي -ﷺ- كان له أربعة مؤذّنين، اثنان في المدينة: بلال بن رباح، وهو أول من أذّن له، وابن أم مكتوم القرشي العامريّ الأعمى، وبقباء سعد القرظ مولى عمار بن ياسر، وبمكة أبو محذورة(٢).

وقد كان معيار النبي -ﷺ- في اختيار مؤذنيه هو: **حُسْن الصوت وَصَيّته**؛ وقد دل على هذا أنه -ﷺ- قال لعبد الله بن زيد -رضي الله عنه- لما أخبره برؤيا الأذان: «إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا حَقٍّ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَإِنَّهُ أَنْدَى وَأَمَدُّ صَوْتًا مِنْكَ، فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا قِيلَ لَكَ، وَلْيُنَادِ بِذَلِكَ»(٣)، ولولا اعتبار هذا المعيار في اختيار مؤذنيه؛ لأسند مهمة الأذان لعبد الله بن زيد صاحب الرؤيا، ولكن لَمَّا لم يتحقق هذا المعيار في عبد الله بن زيد؛ وَكَلَ المهمة إلى بلال.

وكذلك ظهر هذا المعيار في اختيار أبي محذورة ليكون مؤذن النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة، فقد سبق أنه -ﷺ- لما سمع جمال صوت أبي محذورة؛ مدحه، ودعا له، وكلفه بالأذان بمكة.

خامسًا- معايير اختيار الشعراء:

كان الشعر آلة العرب الإعلامية، وسجلهم الوثائقي، الذي يوثقون به أخبارهم، وديوان أفكارهم وحِكَمهم، ووسيلة من وسائل نصرة أفكارهم ومبادئهم، يمدحون به أنفسهم ومن يوالون، ويهجون بها أعداءهم، ويحطون به من قدر خصومهم، وقد حرص النبي -ﷺ- على استعمال هذه الآلة الإعلامية في نصرة الرسالة، وتحقيق أهدافها، وَوَكَلَ هذا المهمة لأكفأ أهلها، واختار لها أكثر الشعراء مهارة، ولعل أهم المعايير التي وضعها النبي -ﷺ- لاختيار من يقوم بهذه المهمة من الشعراء معياران:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي -ﷺ-، باب (مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه)، ١٨٨١/٤، ح (٢٤١٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه)، ١٨٨١/٤، ح (٢٤١٩).

(٢) طبقات ابن سعد، ٢٣٤/٣، وتهذيب الأسماء واللغات، ٣٠/١، وزاد المعاد، ١٢٠/١.

(٣) سبق تخريجه.

الأول: جودة الشعر ورصانته.
والآخر: العلم بالأنساب.

فأما الأول؛ فلأن الشعر إن لم يكن جيدًا رصينًا محكمًا، فلن يستطيع الإيفاء بالغرض منه، من مدح الإسلام وأهله، والمنافحة عنه، وهجاء الشرك وأهله، والنيل منه، ولكان وقعه في نفوس سامعيه ضعيفًا، وقد حرص النبي -ﷺ- على تقييم من يتولى هذه المهمة بنفسه، فإنه لما أراد هجو قريش؛ أرسل إلى عبد الله بن رواحة فقال: «اهْجُهُمْ» فهجاهم فلم يرضْ، فأرسل إلى كعب بن مالك فهجاهم فلم يرض، ثم رضي من حسان بن ثابت.

وأما المعيار الآخر؛ فلئلا يسيء إلى المسلمين وهو لا يدري، كأن يهجو نسبًا للنبي -ﷺ- وهو لا يدري، فيسيء من حيث أراد الإحسان، ويهجو من حيث أراد المدح.

وقد اتضح هذان المعياران فيما روي عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ، قال: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» فأرسل إلى عبد الله بن رواحة فقال: «اهْجُهُمْ» فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آنَ لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بِذَنَبِه، ثم أَدْلَعَ لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لَأَفْرِيَنَّهُمْ بلساني فَرْيَ الأديم، فقال رسول الله -ﷺ-: «لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي» فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لَخَّصَ لي نَسَبَكَ، والذي بعثك بالحق لَأَسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله -ﷺ-، يقول لحسان: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»، وقالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»[1].

وتأسيسًا على ما سبق يتبين أن النبي -ﷺ- كان ينتقي الكفاءات البشرية في جميع المجالات، ويختارها بعناية فائقة، وبمعايير محددة، ولا يقدم عليهم غيرهم ممن هو أدنى منهم؛ ابتغاء تحقيق هدف المهمة التي يختار لها الكفاءات وإنجازها على الوجه الأكمل.

وقد بُني هذا على أصل عظيم وهو معرفة قدرات أصحابه ومهارتهم، وتنميتها وتحفيزها، ولا شك أن هذا كله من صفات القائد الناجح، وأن النبي -ﷺ- إذ يفعل ذلك؛ إنما يضع للأمة كلها، بل وللمصلحين وذوي الرأي في كل زمان، خارطة طريق النجاح القيادي، والإداري، والعلمي، وغير ذلك مما لا يمكن لأي أمة -تنشد النهضة والتقدم والرقي- الاستغناء عنه، أو إهمال تنميته والنهوض به.

- **ثانيًا- توظيف الكفاءات البشرية في ضوء السنة النبوية:**

تأسيسًا على ما سبق يمكن القول: إن النبي -ﷺ- استطاع بما حباه الله من الحكمة والبصيرة والتأييد الإلهي المبارك، توظيفَ كفاءات أصحابه في خدمة الدين، ونشر الرسالة، وتحقيق أهدافها، والارتقاء بالأمة، والنهضة بالإنسانية، توظيفًا لا مثيل له، فلم يستعمل النبي -ﷺ- أحدًا في أمر لا يحسنه وإن كان قديم الصحبة، أو قريب الصلة به -ﷺ-

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب (هجاء المشركين)، ٣٦/٨، ح (٦١٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه)، ١٩٣٥/٤، ح (٢٤٩٠).

، فإن ميزان الاختيار عنده، ومعيار الاستعمال، هو: إتقان الأمر، والكفاءة، والقدرة على القيام بالمهام الموكلة، مع التجرد، وعدم استشراف النفس إلى العلو والإمارة.

فمن أصحاب النبي -ﷺ- من اشتهر بتقواه وورعه وحسن عبادته وإيمانه وإخلاصه، ومع ذلك رفض النبي -ﷺ- إسناد الولاية إليه، ومن ذلك ما روي عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»(١)، وقال له النبي -ﷺ-: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»(٢).

فالنبي -ﷺ- رفض أن يستعمل أبا ذر في ولاية أو أمر من أمور المسلمين رفضًا مباشرًا من غير مدارة ولا مجاملة لأبي ذر، وعلل له ذلك بأنه ضعيف لا يصلح للإمارة، ولا تولي أمور المسلمين.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ النبي -ﷺ- لا يقصد بهذا الطعنَ في ديانة أبي ذر أو أمانته، فإن أبا ذر -رضي الله عنه- "أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب النبي -ﷺ-، وكان خامس خمسة في الإسلام، وأحد علماء الصحابة، وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وكان رأسا في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قَوَّالًا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم..."(٣).

بل روي عن النبي -ﷺ- أنه قال في أبي ذر: «مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»(٤).

ولكن النبي -ﷺ- لما عَلِمَ أن أبا ذر -رضي الله عنه- فيه من الصفات ما لا يصلح لولاية أمور المسلمين، لم يستعمله، فإن أبا ذر -رضي الله عنه- مع تقواه وورعه "كان ضعيف الرأي زاهدًا لا يستجيز ادخار النقدين؛ فإنه لو ولي مال يتيم لأنفقه كله في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيرًا، وفيه حدة، والذي يتأمر على الناس، لابد أن يكون فيه حلم ومداراة"(٥).

وكذلك فإن النبي -ﷺ- لا يولي أحدًا يطلب الولاية ويحرص عليها، وتستشرف نفسه لها، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: دخلت على النبي -صلى الله عليه وسلم- أنا ورجلان من بني عمي، فقال أَحَدُ الرجلين: يا رسول الله، أَمِّرْنَا على بعض ما وَلَّاكَ الله عز وجل، وقال الآخر مِثْلَ ذلك، فقال: «إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (كراهة الإمارة بغير ضرورة)، ١٤٥٧/٣، ح (١٨٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (كراهة الإمارة بغير ضرورة)، ١٤٥٧/٣، ح (١٨٢٦).

(٣) سير أعلام النبلاء، ٤٦/٢، ٤٧.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ٧٠/١١، ح (٦٥١٩)، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب (مناقب أبي ذر)، ٦٦٩/٥، ح (٣٨٠١)، وابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب (فضل أبي ذر)، ٥٥/١، ح (١٥٦)، وهو حديث حسن كما قال الترمذي.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٧٥/٢.

سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ»[1]، وعن عبد الرحمن بن سَمُرَة، قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»[2].

وهذا يدل على حكمة النبي -ﷺ- ومعرفته الدقيقة بأحوال أصحابه ومن يصلح منهم، ومن لا يصلح، بل ودليل على ما حباه الله -ﷻ- من علم بأحوال نفوس البشر، وكيفية سياستها؛ مما جعله -ﷺ- يضع الشيء في موضعه الذي يصلح له، فلم يقلِّد رسولُ الله -ﷺ- أبا هريرة سيفَ خالدٍ، ولم يناول خالدًا قرطاسَ أبي هريرة، بل وظف ما يملكه كل منهما من كفاءة توظيفًا حسنًا، بأن وضعها في مكانها الذي تَصْلُح له، وتُصْلِح به، فوظف كفاءة خالد العسكرية في قيادة الجند، وإحراز النصر والغلبة للمسلمين، فقال: «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ»[3]، ووظف كفاءة أبي هريرة العلمية وملكته العالية في الحفظ والفهم في الأخذ عنه؛ ليكون خير ناقل لأحاديثه وسنته، وفقيهًا من فقهاء الصحابة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله -ﷺ-: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»[4]، وحرص النبي -ﷺ- على تنمية ملكة أبي هريرة العلمية، ظهر هذا فيما خصه به من معجزة نبوية مباركة، فعن أبي هريرة، قال: "قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أَنْسَاهُ؟ قال: «ابْسُطْ رِدَاءَكَ» فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ضُمَّهُ» فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ"[5].

ومن ذلك أنه -ﷺ- لم ينقم على حسان بن ثابت -رضي الله عنه- عدم كفاءته القتالية، بل تغاضى عن ذلك، ووظف ما عنده من كفاءة ومهارة شِعْرِية -لا تُبارى- في خدمة الدين ونصرة الحق، والدفاع عن الإسلام ونبيه -ﷺ-؛ فأصبح حسان بن ثابت -بفضل هذه العبقرية النبوية- آلة الإسلام الإعلامية المتميزة التي لا نظير لها عند أعداء المسلمين، فقد قال النبي -ﷺ- لحسان بن ثابت -رضي الله عنه-: «يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ»[6]، وحرص النبي -ﷺ- على دعم حسان معنويًّا؛ ليتعاهد كفاءته وينميها وينشط للمهمة التي وكلت إليه؛ فقال له: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب (من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها)، ٦٣/٩، ح (٧١٤٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها)، ١٤٥٦/٣، ح (١٦٥٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢١٦/١، ح (٤٣)، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣٤٨/٩، ح (١٥٨٧٥).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب (حفظ العلم)، ٣٥/١، ح (١١٩).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب (الشعر في المسجد)، ٩٨/١، ح (٤٥٣)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب (فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه)، ١٩٣٣/٤، ح (٢٤٨٥).

نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»[١].

ومن ذلك -أيضًا- أنه -ﷺ- اختار أصحاب العلاقات الدبلوماسية مع الملوك والأمراء، ووظف هذه العلاقات لخدمة الأمة ونشر الدعوة، إذ "بعث النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- عمرَو بن العاص -رضي الله عنه- في سنة ثمان للهجرة رسولًا إلى جَيْفَرٍ وعبد ابْنَيْ الْجُلُنْدَى الْأَزْدِيّيْنِ، مَلِكَيْ عُمَانَ"[٢]، والمطلع على سيرة عمرو -رضي الله عنه- يدرك أنه كان في الجاهلية يفد على الملوك كثيرًا، وكان معروفًا عند ملوك الحبشة والروم، فعمرو -رضي الله عنه- سفير قريش إلى النجاشي مرتين، الأولى بعد هجرة المسلمون إلى الحبشة في السنة الخامسة للنبوة بغرض التنكيل بالمسلمين عند النجاشي؛ كي يُسْلِمَهم إلى قريش، ويطردهم من بلاده، والثانية بعد صلح الحديبية بغرض تمهيد الطريق له ولنفر من قريش في الإقامة عنده إذا ظهر أمر النبي -ﷺ- وانهزمت قريش.

ولم يكن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- سفير قريش في الجاهلية فحسب، بل كان صديق الملوك ومعروفًا في بلاد الحبشة والشام، وقد تبادل الهدايا مع الملوك، وكان النجاشي يخاطبه: "مرحبًا بصديقي"، فعن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: «فَدَخَلْت عَلَيْهِ -أي على النجاشي- فَسَجَدْت لَهُ كَمَا كُنْت أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ إلَيّ مِنْ بِلَادِك شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْت: نَعَمْ، أَيّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْت إلَيْك أَدَمًا كَثِيرًا؛ قَالَ: ثُمّ قَرّبْته إلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ»[٣].

فقول عمرو -رضي الله عنه-: «فَسَجَدْت لَهُ كَمَا كُنْت أَصْنَعُ» دال على كثرة تردده على النجاشي، وقول النجاشي: «مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ إلَيّ مِنْ بِلَادِك شَيْئًا؟» دال على الصداقة المُتوطِّدة بينهما.

فوظف النبي -ﷺ- هذه العلاقات الدبلوماسية الرفيعة لعمرو بن العاص، والتي أكسبته خبرة في التعامل مع الملوك؛ فأرسله النبي -ﷺ- سفيرًا إلى جَيْفَرٍ وَعَيّادٍ ابْنَيْ الْجُلُنْدَى الْأَزْدِيّيْنِ، مَلِكَيْ عُمَانَ فأدى عمرو -رضي الله عنه- مهمته على الوجه الأكمل، حيث قال عمرو بن العاص -رضي الله عنه- بعد أن قص خبرهما وما دار بينه وبينهما من نقاشات ظهرت فيها براعة عمرو وحنكته وذكاؤه: «فَأَجَابَ إلَى الإِسْلامِ هُوَ وَأَخُوهُ جَمِيعًا، وَصَدَّقَا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَخَلَّيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ وَبَيْنَ الْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي»[٤].

وكذلك فعل النبي -ﷺ- مع دحية بن خليفة الكلبي -رضي الله عنه-؛ فإن المطلع على سيرة دحية الكلبي -رضي الله عنه- يدرك أنه كان كثير التردد على بلاد الشام، وله معرفة جيدة بقيصر الروم، وخبرة ببلاد الشام، فهذه الأسباب وغيرها جعلت النبي -ﷺ- يبعث دحية رسولًا إلى قيصر الروم، وإلى عظيم أساقفتهم -كما سبق- في عبقرية لا مثيل لها في حسن توظيف الكفاءات البشرية وتنميتها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الروض الأنف، ٤٦٥/٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣١٢/٢٩، ح (١٧٧٧٧)، والبيهقي في دلائل النبوة، كتاب المغازي، باب (ذكر إسلام عمرو بن العاص...)، ٣٤٣/٤.

(٤) عيون الأثر، ٣٣٥/٢.

وكذلك كان دحية رضي الله عنه صاحب ذوق رفيع، عارفًا بالآداب الاجتماعية، وفنون التعامل مع الناس، فقد دلت المصادر على أنه "كان يهدي النبي -ﷺ الهدايا"[1]، كما أنه جمع -رضي الله عنه- بين الذكاء والفطنة وحسن المظهر، مع ما وهبه الله من الجمال والحسن، فقد كان -رضي الله عنه- جميلًا من أجمل الناس وجهًا، ويضرب به المثل في حسن الصورة، بل لفرط جماله كان جبريلُ -عليه السلام- يأتي النبيَّ -ﷺ- أحيانًا على صورته، كما مر ذكر ذلك في المبحث السابق مفصلًا؛ فكل هذه المؤهلات جعلت النبي -ﷺ- يضع دحية الكلبي -رضي الله عنه- في المكانة التي يستحقها، موظفًا ما عنده من مقومات ومهارات في خدمة رسالة الأمة وأهدافها.

ومن عبقرية النبي -ﷺ- المؤيدة بالوحي في توظيف الكفاءات البشرية: أنه كان يستعمل أصحاب الصلات الاجتماعية القوية في خدمة رسالته، وتحقيق أهدافها؛ فيوظف كفاءتهم الاجتماعية توظيفًا حسنًا ببراعة نبوية منقطعة النظير.

فمن ذلك توظيفه -ﷺ- لعلاقات عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الاجتماعية مع قريش؛ ليفاوضهم عندما صدوا النبي -ﷺ- والمسلمين عن البيت الحرام عام الحديبية، وليخبرهم أن المسلمين لم يأتوا لقتالهم، إنما جاءوا للعمرة والطواف بالبيت، ولقد لفت نظر النبي -ﷺ- لهذا وأشار عليه به عمرُ بن الخطاب -رضي الله عنه-؛ لعلمه أن النبي -ﷺ- يستعمل الأكفأ دائمًا، فقد روي "أن النبي -ﷺ- دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة - ليفاوض قريشًا عام الحديبية- فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بها من بني عَدِيٍّ أحد يمنعني، وقد عَرَفَتْ قريش عداوتي إياها، وَغِلْظَتِي عليها، ولكن أَدُلُّكَ على رجل هو أَعَزُّ مني عثمان بن عفان"[2].

فرضي النبي -ﷺ- مشورة عمر، "فدعا رسول الله -ﷺ- عثمان فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرًا لهذا البيت، مُعَظِّمًا لحرمته"[3].

وقد أثمر فعل النبي -ﷺ- وكان الأنسب للمهمة عثمان -رضي الله عنه-؛ لِمَا له من مكانة وعلاقات اجتماعية قوية في قريش، فلم يحدث معه ما حدث مع خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الْخُزَاعِي الذي أرسله النبي -ﷺ- إلى مكة قبل عثمان بن عفان، وحَمَلَهُ على جَمَلٍ له يقال له: الثَّعْلَبُ، فلما دخل مكة عَقَرَتْ به قريش، وأرادوا قتل خِرَاشٍ، فمنعهم الْأَحَابِشُ.

فإن عثمان -رضي الله عنه- لما أتى مكة لم تتعرض له قريش بأذى، وبلغ رسالة النبي -ﷺ-، فيروى أن "عثمان خرج حتى أتى مكة، فلقيه أَبَانُ بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته وحمله بين يديه، وَرَدِفَ خلفه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله -ﷺ-، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماءَ قريش، فَبَلَّغَهُمْ عن رسول الله -ﷺ- ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت، فَطُفْ بِهِ. فقال: ما كنت لأفعل حتى يَطُوفَ به رَسُولُ الله -ﷺ-"[4].

وكذلك استعمل النبي -ﷺ- أصحاب العلاقات الاجتماعية -أحيانًا- في خطط

(١) أسد الغابة، ١٩٧/٢، والإصابة، ٣٢٢/٢.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢١٧/٣١، ح (١٨٩١٠).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.

الخداع[١] الاستراتيجي في الحروب والمعارك، بحيث يكون دورهم أعظم، والاستفادة من كفاءتهم أكبر، بخلاف ما لو لم يُعِرْ كفاءتهم اهتمامًا يستحقونه؛ فإنهم سيكونون -حينئذ- مجرد جنود كغيرهم في صفوف المسلمين بلا كبير فائدة تذكر.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره أصحاب السير أنه في غزوة الأحزاب، وبعد نقض بني قريظة العهد مع المسلمين، واشتداد الأمر على المسلمين؛ إذ انفتحت عليهم جبهات قتالية عدة، قريش وحلفائها من أمامهم، وبنو قريظة من خلفهم، فبينا المسلمون في هذا الوقت العصيب من الشدة والخوف؛ إذ أتى نعيم بن مسعود الغطفاني النبيَّ -ﷺ- مسلمًا، وكان نعيم حسن الصلة بكل القبائل المعادية للمسلمين يوم الأحزاب، سواءٌ في ذلك يهود بني قريظة أو قومه أو قريش.

فقال نعيم: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله -ﷺ-: «**إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ**». فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديمًا في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشًا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدًا، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقًا أن أبلغكموه، نصحًا لكم، فاكتموا عني، فقالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلًا واحدًا.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، فما أمرك؟، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم[٢].

وقد نجحت خطة نعيم، ووقع الخلاف والفُرقة بين المشركين واليهود، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا، ودحض كيدهم.

---

(١) وقد ورد عنه -ﷺ- قوله: «الْحَرْبُ خدْعَةٌ»، متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (الحرب خدعة)، ٦٤/٤، ح (٣٠٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (جواز الخداع في الحرب)، ١٣٦١/٣، ح (١٧٣٩).

(٢) مغازي الواقدي، ٤٨٠/٢، وسيرة ابن هشام، ٢٢٩/٢، وطبقات ابن سعد، ٦٩/٢.

فالناظر في هذا الأثر الشريف يلحظ البراعة النبوية في توظيف كفاءة نعيم بن مسعود الاجتماعية، وكيف ساهم حسن توظيفها في نصرة المسلمين، وإفشال خطط عدوهم، وقد ظهرت هذه البراعة النبوية، والعبقرية المحمدية المؤيدة بالوحي الإلهي، في قوله -ﷺ- لنعيم بن مسعود لما جاءه مسلمًا: «إِنَّمَا أَنْت فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خدْعَةٌ»، أي إن انضمامك لصفوف المسلمين كجندي لا يمثل إضافة مهمة لهم في هذه الظروف العصيبة، ولكنك تمتلك كفاءة ومهارة يمكنك من خلالها أن يكون دورك أكبر وأعظم من مجرد جندي عادي في صفوف المسلمين؛ وهذا ما كان سببًا في نشاط نعيم الذهني، وتنبيهًا له؛ ليُعمل كفاءته الاجتماعية في نصرة المسلمين.

ومن براعة النبي -ﷺ- في توظيف الكفاءات البشرية، والاستفادة منها: حسن توظيف كفاءة زيد بن ثابت -رضي الله عنه- الحسابية؛ إذ استعمله -صلّى اللَّه عليه وسلّم- على إحصاء الناس والغنائم بخيبر، "فقسم رسول اللَّه -صلّى اللَّه عليه وسلّم- بينهم الّذي غنموه من المتاع الذي بِيع، ثم أحصاهم ألفا وأربعمائة، والخيل مائتي فرس، فكانت السهمان على ثمانية عشر سهما، للرجال أربعمائة، وللخيل أربعمائة"[1].

ولا يخفى ما يمتلكه زيد -رضي الله عنه- من كفاءة حسابية، فهو أعلم الصحابة بالفرائض والمواريث، وتقسيم التركات، وقد سبق ذكر قول النبي -ﷺ- فيه: «وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ»[2] أي: أعلمهم بالفرائض.

وكذلك وظف النبي -ﷺ- كفاءة زيد بن ثابت اللغوية، مع ما عهده فيه من ذكاء وأمانة؛ فجعله مترجمًا خاصًا له، فإن زيدًا كان "يكتب العربية والعبرانية والسريانية"[3]، ويروي زيد ما خصه به النبي -ﷺ-، فيقول: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ إِنَّهُ يَأْتِينِي كُتُبٌ مِنْ أُنَاسٍ لَا أُحِبُّ أَنْ يَقْرَأَهَا كُلُّ أَحَدٍ، فَهَلْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كِتَابَ السُّرْيَانِيَّةِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَ عَشْرَةَ»[4].

وكذلك أحسن النبي -ﷺ- توظيف كفاءات من اشتهر بالخبرة العسكرية والمهارة القتالية، كحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، والزبير بن العوام، وأبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن جبير، وعبد الله بن رواحة، وعبد الله بن جحش، والمقداد بن الأسود، وغيرهم من شجعان الصحابة -رضي الله عنهم- أجمعين؛ إذ وظف النبي -ﷺ- كفاءاتهم العسكرية في قيادة السرايا، والجند، والألوية في الغزوات.

ولما كان بنو عبد الدار مشهورين بحمل اللواء في الحروب منذ جعله فيهم قصي بن كلاب، وهم فيه أصحاب كفاءة لا تنكر؛ فقد جعل النبي -ﷺ- لواء المسلمين يوم أحد بيد مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فإن النبي -ﷺ- سأل يوم أحد: «مَنْ يَحْمِلُ لِوَاءَ الْمُشْرِكِينَ؟ قِيلَ: بَنُو عَبْدِ الدّارِ، قَالَ: نَحْنُ أَحَقّ بِالْوَفَاءِ مِنْهُمْ، أَيْنَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ؟ قَالَ: هَا أَنَا ذَا! قَالَ: خُذْ اللّوَاءَ، فَأَخَذَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَتَقَدّمَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ

(١) إمتاع الأسماع، ٢٣٣/٩.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ٨٦/٤، ح (٢٠٤٥).

رَسُولِ اللهِ -ﷺ-»[١].

وكذلك لم يكن النبي -ﷺ- ليهمش بلال بن رباح -رضي الله عنه-، وهو يعلم أنه صاحب كفاءة، فالنبي -ﷺ- يعلم ما حبا الله به بلالًا من حسن الصوت وصيته، فوظف هذه الكفاءة واستعملها في تعيينه مؤذن مسجده بالمدينة المنورة، وكذلك لما سمع أبا محذورة يؤذن، ورأى من جمال صوته وعلوه ما لا ينبغي إهماله؛ عينه مؤذن المسجد الحرام بمكة المكرمة، وقد مر ذكر النصوص في ذلك في المبحث الأول.

والمطلع على سيرة النبي -ﷺ- يرى أنه وظف كفاءات أصحابه توظيفًا حسنًا، واستعمل كلا منهم فيما يحسنه، وأسند إليه ما يتقنه، ولم يهمل مهارة أو كفاءة وإن قل شأنها، بل وحرص على تنمية مهاراتهم وكفاءاتهم، ونصوص السيرة ومواقفها في ذلك أكثر من أن تحصى، وكلها دالة على ما ذُكِر.

وتأسيسًا على ما سبق، ومما تجدر الإشارة إليه في خاتمة هذا المبحث، أن النبي -ﷺ- يُعَلِّمُ الأمة والناس أجمعين، ممن ينشدون التقدم والرقي، وتحقيق رسالاتهم وأهدافهم النهضوية، أن الكفاءات البشرية عامل مهم، وعنصر فعال في النهضة والتقدم والرقي، وأن تهميش الكفاءات الموجودة في أمة ما، أو مؤسسة ما، وعدم استثمارها؛ سيؤدي -حتمًا- إلى تلاشي هذه الكفاءات واختفائها إما بالتقادم، أو بالبحث عن مكان آخر تُقَدَّر فيه، وبالتالي سيتعذر على هذه الجهة الاستفادة مما لديها من كفاءات بشرية.

إن القدرة على الاستفادة من مكامن التفوق، والتميز لدى أفراد الأمة بأفضل ما يمكن، يعتبر من مسلّمات الإدارة الناجحة، ولكي يتحقق هذا كان لزامًا على القادة والمربين معرفة وتمييز هذه المكامن لدى أصحابهم، والسير على منهج النبي -ﷺ- في اكتشاف ذلك وحسن توظيفها.

وإن عدم المعرفة المسبقة بالطاقات الموجودة وتوظيفها في وقت السعة والرخاء، يجعل العثور عليها في وقت الضرورة أمرًا شاقًا وعسيرًا، حتى إذا اكتُشِفت آنذاك فقد لا يكون هناك وقت لتطويرها وصقلها بالشكل المناسب.

(١) مغازي الواقدي، ٢٢١/١.

الخاتمة

هذا، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، هي:

- فقه صناعة الكفاءات البشرية هو: العلم بمجموعة القواعد والإجراءات والأدوات والمعايير الشرعية التي تُمَكِّنُ من تنمية مهارات الأفراد والجماعات، وتنظيمها، واستقطابها، وتوظيفها؛ لتحقيق رسالة الأمة وأهدافها.
- حرص النبي -ﷺ- على تنمية مهارات أصحابه وشحذ هممهم؛ ليصنع منهم كفاءات بشرية قادرة على القيام بمهام الرسالة، وتحقيق أهدافها.
- تعددت المهارات التي حرص النبي -ﷺ- على تنميتها في أصحابه إلى مهارات روحية، ومهارات فكرية، ومهارات قيادية، ومهارات اقتصادية، ومهارات اجتماعية، ومهارات إبداعية، وقد سلك -ﷺ- في ذلك سبلًا متنوعة أتت ثمارها في تنمية هذه المهارات؛ فصنع من أصحابه كفاءات بشرية متميزة.
- كان للنبي -ﷺ- معياران رئيسان -إضافة إلى المعايير الأخرى- لاختيار الكفاءات البشرية، هما: تقديم الأكفأ على غيره، واستبعاد من تستشرف نفسه للولاية والقيادة، وهو ليس أهلًا لها.
- تعددت المهمات التي حرص النبي -ﷺ- على اختيار الكفاءات من أصحابه للقيام بها؛ لخدمة الرسالة، وتحقيق أهدافها، من ذلك: السفراء، والقادة العسكريين، والعلماء والدعاة، والمؤذنون، والشعراء، ووضع معايير خاصة بكل منها.
- استطاع النبي -ﷺ- بما حباه الله من الحكمة والبصيرة توظيف كفاءات أصحابه توظيفًا حسنًا، تحقق به نجاح باهر في خدمة الرسالة، وتحقيق أهدافها في فترة وجيزة.
- لم تقتصر صناعة النبي -ﷺ- الكفاءات البشرية على العناية والاهتمام بتنمية مهارات كبار أصحابه، بل حرص -ﷺ- على صناعة الكفاءات البشرية من خلال تنمية مهارات صغار أصحابه، وتوظيفها في تحقيق رسالة الأمة وأهدافها.

التوصيات:

أوصي بدراسة منهج النبي -ﷺ- في رعاية المُسنين وذوي الاحتياجات الخاصة.

المصادر والمراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، مصر، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- تاريخ المدينة المنورة، أبو زيد عمر بن شبة البصري، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام النووي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- حاشية السندي على سنن ابن ماجه المسماة (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي، طبعة دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، لأبي يعلى الفراء، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- سفراء النبي -ﷺ-، محمود شيت خطاب، ط١، دار الأندلس، جدة، السعودية، ومؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

- سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت).
- سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
- السنن الصغرى = سنن النسائي، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.
- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام ابن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ت).
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس اليعمري، ط١، دار القلم، بيروت، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فتوح مصر وأخبارها، أبو القاسم ابن عبد الحكم المصري، تحقيق: محمد الحجيري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- قادة النبي -ﷺ-، محمود شيت خطاب، ط٢، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، أ.د. عبد الكريم بكار، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- المصنف، لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- المغازي، محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩ه،١٩٨٩م.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- مهارات التربية الإسلامية، عبد الرحمن بن عبد الله المالكي، طبعة وزارة الأوقاف، قطر، (د.ت).
- الموهبة والإبداع: طرائق التشخيص وأدواته المحوسبة، تيسير صبحي، ط١، دار التنوير العلمي، عمان، الأردن، ١٩٩٢م.